غذاء الألباب

شرح
منظومة الألبيري في الآداب

أعده

أبو عاصم الشحات شعبان محمود البركاتي الأثري المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

دار الهدي - مصر

٢٠٢٥ - ١٤٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذا شرح مختصر لمنظومة أبي إسحاق الألبيري رحمه الله في آداب طالب العلم، وإن من أصل العلم الأدب، وقد كان السلف الصالح يتعلمونه ويلتمسونه قبل تَعَلُّمِ العِلْمِ ومسائِلِه .

أيها الأحبة: تعالوا قبل هذه المنظومة المشهورة بالتائية، للإمام أبي إسحاق ابراهيم بن مسعود الإلبيري الأندلسي رحمه الله تعالى لنأخذَ بعضَ الضوابط والأصول:

الأدب مقدم على العلم.

قال أبو الدرداء: "مِن فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم"[١].

قال إبراهيم النخعي : "كنا نأتي مسروقاً فنتعلمُ من هديه[٢] ودَلِّهِ[٣]".

وعن ابن وهب قال: "ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه".

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ /١٢٧).

(٢) الهدي : السيرة والهيئة والطريقة.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١ /١٢٧).

وفي الحديث: فقلنا لحذيفة أَخْبِرْنا برجل قريب السَّمْت والهَدْي والدَّلِّ من رسول الله ﷺ حتى نَلْزَمه، فقال: « ما أَحد أَقرب سَمْتاً ولا هَدْياً ولا دَلاًّ من رسول الله ﷺ حتى يواريه جِدارُ الأَرض من ابن أُمِّ عَبْدٍ[1]».

قال ابن سيرين رحمه الله تعالى : كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم[2] .

وقال أبو حنيفة: "الحكايات عن العلماء أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم[3]".

وقال ابن المبارك رحمه الله: "تعلمت الأدب ثلاثين سنة، وتعلمت العلم عشرين سنة[4]".

وَقِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : إلَى الْبَصْرَةِ ، فَقِيلَ لَهُ مَنْ بَقِيَ ؟ فَقَالَ: ابْنُ عَوْنٍ آخُذُ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، آخُذُ مِنْ آدَابِهِ[5] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٤٨٤) ،ابن حبان في صحيحه رقم (٧١٨٨).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع رقم (٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر برقم(٤٩٠).

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ١٠٢).

(٥) الآداب الشرعية(٢ /١٤٥)، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت.

والأعمش يقول: كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ الْفَقِيهِ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى لِبَاسَهُ وَنَعْلَيْهِ[1].

قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَعْجَبَتْك طِبَاعُ امْرِئٍ .... فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْك مَا يُعْجِبُك

فَلَيْسَ عَلَى الْجُودِ وَالْمَكْرُمَاتِ .... حِجَابٌ إِذَا جِئْته يَحْجُبُك .

وهذا عبد العزيز بن مروان - والد عمر بن عبد العزيز - بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدبُ بها ، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده ، وكان يلزمه الصَّلوات ، فأبطأ يومًا عن الصَّلاة فقال : ما حبسك ؟ قَالَ : كَانَتْ مُرَجِّلَتي تُسَكِّن شَعْرِي ، فقال : بلغ من تَسْكِين شَعْرِكَ أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى الصَّلاة . وكتب بذلك إلى والده فبعث عبد العزيز رسولًا إليه ؛ فما كلَّمه حتى حلق شعره [2].

يقولون عن مسروق: إنه حج فما نام إلا ساجداً[3] .

---

(١) الآداب الشرعية(٢ /١٤٥).

(٢) تاريخ دمشق(٤٥ /١٣٦)، والسير للذهبي(٥ /١١٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم(٣٦٠١٢) قال حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، قَالَ : حجَّ مَسْرُوقٌ فَمَا نَامَ إِلاَّ سَاجِدًا.وهو في الزهد لابن المبارك(٩٧٥) ، وفي الزهد لأحمد ص٣٤٩.

وتقول امرأته عنه : كان يصبح منتفخ الساقين من طول القيام .

وجاء عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : كَانَ مَسْرُوقٌ يُصَلِّي حَتَّى تَجْلِسَ امْرَأَتُهُ خَلْفَهُ تَبْكِي[1].

والأوزاعي رحمه الله تعالى كان كثيرَ البكاء وكثير الإقبال على الله عز وجل، حتى إن امرأة كانت تخدم امرأة الأوزاعي وكانت تكنس لها وتغسل ثيابها ، فقالت : جئت يوماً إلى مسجد الأوزاعي الذي في بيته لأكنسه، فإذا الحصيرة ندية، فقلت : لامرأته ويحك أحسب أن بعض الصبيان قد ذهب إلى مسجد الأوزاعي ، فلما عادتها ، قالت: ويحك اسكتي هكذا يصبح كل يوم من دموع الأوزاعي[2] .

جاء عن عمر بن ذر أنه قال لوالده "يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بنى ! ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة[3]".

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم(٣٦٠٢٦).

(٢) تاريخ دمشق(٥٦ / ١٣٢).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل ص٣٥٧.

قال حبيب بن الشهيد لابنه" يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم فإن ذلك أحب إلى من كثير من الحديث[١] " .

قال مخلد بن الحسين لعبد الله بن المبارك :" نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث[٢] " .

وقيل للشافعي : كيف طلبك للأدب ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره[٣].

ولهذا سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ : فقالت: كان خلقه القرآن[٤].

والله تعالى مدحه فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم :٤]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع برقم (١٠).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع برقم (١١).

(٣) مشهور عن الشافعي رحمه الله ، ولكن ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء (١ /٣) قال: قال أبو عمرو بن العلاء: قيل لمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم مثل ما تنعمت الأذان، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها، وليس لها غيره، قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال.

(٤) أخرجه أحمد(٢٤٦٠١)والبخاري في الأدب المفرد(٣٠٨) .

ولا عجب فالله أدبه ورباه هذه التربية العظيمة ، فأخلاقه وسعت حتى أعداءه ، فأبو سفيان لما قال: أعل هبل ، وقال : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي ﷺ قولوا: " الله مولانا ولا مولى لكم[1]" ، ولما أسلم أبوسفيان قبل النبي ﷺ إسلامه بل قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[2] " .

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاةِ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاةِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ ،وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي ،فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ ، فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ [3].

وقد رواه أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ بْنَ خَصَفَةَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ،

---

(١) أخرجه البخاري(٣٠٣٩)(٤٠٤٣)وأحمد(٤٤١٤).

(٢) أخرجه مسلم(١٧٨٠)وأحمد(٧٩٢٢).

(٣) أخرجه : البخاري (٢٩١٠)(٢٩١٣) ومسلم(٨٤٣).

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ،قَالَ : أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ: لَا وَلَكِنْ أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ (١).

ولهذا ما كَهَرَ النبيُّ ﷺ ولا نَهَرَ ولا ضرب ، بل كان يتحرى موضع فم عائشة رضي الله عنه ليشرب ، ويسابقها ، وتقول له أم سلمة لما طلبها للزواج فقالت : أَنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى وَأَنِّي مُصْبِيَةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي مُصْبِيَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَكْفِيكِ صِبْيَانَكِ وَأَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي غَيْرَى فَسَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ غَيْرَتَكِ وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ إِلَّا سَيَرْضَانِي(٢).

---

(١) أخرجه : أحمد(١٤٧٦٨).

(٢) أخرجه أحمد(٢٦٦٦٩)وابن حبان(٢٩٤٩).

آداب طالب العلم مع نفسه[1]:

أولاً : الإِخْلاَصُ فِي طَلَبِ العِلْمِ:

قال ابن جماعة رحمه الله: " حُسْنُ النِيَّةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ بِأَنْ يَقْصِدَ بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، وَالعَمَلَ بِهِ، وَإِحْيَاءَ الشَّرِيعَةِ، وَتَنْوِيرَ قَلْبِهِ، وَتَحْلِيَةَ بَاطِنِهِ، وَالقُرْبَ مِنَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالتَّعرُّض لِمَا أعدَّ لأَهْلهِ مِنْ رِضْوَانِهِ وَعَظِيم فَضْلِهِ[2]".

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء :١٠٠).

قال بعض العلماء : "العلم صلاة السر، وعبادة القلب".

ثمرات الإخلاص في طلب العلم

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: " مَنْ طَلَبَ العِلْمَ خَالِصًا، يَنْفَعُ بِهِ عِبَادَ اللهِ، وَيَنْفَعُ نَفْسَهُ؛ كَانَ الخُمُولُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ التَّطَاوُلِ، فَذَلِكَ الذِي يَزْدَادُ

---

(١) لطالب العلم مع نفسه آداب حتى تحصل البركة في علمه ودعوته، وقد اقتبست أكثر هذه الأداب من كتاب حلية طالب العلم للشيخ العلامة بكر أبو زيد رحمه الله تعالى.

(٢) تذكرة السّامع والمتكلّم، للكناني : ٦٩ – ٧٠.

فِي نَفْسِهِ ذُلاًّ، وَفِي العِبَادَة اجْتِهَادًا، وَمِنَ اللهِ خَوْفًا، وَإِلَيْهِ اشْتِيَاقًا، وَفِي النَّاسِ تَوَاضُعًا، لاَ يُبَالِي عَلَى مَا أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا[١]".

ثانياً: اطلب العلم على جادة السلف الصالح.

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبي - رَحِمَه الله تعالى-: "وَإِنَّما شَأْنُ المُحَدِث اليَوْمَ الاِعْتناءُ بالدَّواوينِ السِّتة، وَمُسنَدِ أحمد بنِ حنبل وسننِ البيهقي، وضبطِ متُونِها وأسانيدِها، ثمَّ لا ينتفعُ بذلكَ حتَّى يتَّقيَ رَبَّهُ، ويدين بالحديثِ، فعلى علمِ الحديثِ وعلمائِهِ لِيَبْكِ مَنْ كانَ باكياً، فقدْ عادَ الإسلامُ المحْضُ غريباً كما بدأَ، فَلْيَسْعَ امرُؤ في فكاكِ رقبَتِهِ منَ النَّار، فلا حولَ وَ لا قُوَّة إلاَّ باللهِ. ثمَّ العلمُ ليس هو بكثرَةِ الرِّواية، وَلَكنَّهُ نُورٌ يقذِفُهُ اللهُ فِي القلبِ، وَشَرْطُهُ الاِتباعُ والفِرارُ منَ الهَوَى والاِبتداعِ، وَفَّقنَا اللهُ وإيَّاكُمْ لِطَاعَتِهِ[٢]".

وقَالَ الذّهَبِيُّ .رَحِمَهُ اللهُ تعالى. أيضاً: "تَدْرِي مَا العِلْمُ النَّافِعُ؟ هوَ ما نزلَ بِهِ القُرآن، وَفَسَّرَه الرَّسُولُ صلّى الله عليه وآلِهِ وَسَلّم قَوْلاً وَعَمَلاً، وَلَمْ يأتِ نَهْيٌ عنْهُ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلام: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فليْسَ مِنِّي» فَعَلَيْكَ يَاَ أَخِي بتدَبُّرِ كِتَابَ اللهِ وبإدمَانِ النَّظَرِ فِي الصَّحِيحَين

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي (٢/ ٢٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٣/ ٣١٣).

وَسُنَنِ النَّسَائِي، وَرِياضِ النَّوَاوِي وَأَذْكَارِهِ، تُفلِحُ وَتَنْجَح، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الفلاسِفَةِ وَوَظائِفَ أهلِ الرِّياضاتِ، وجُوعَ الرُّهبَانِ وخِطابَ طَيْشِ رُؤُوسِ أصْحابِ الخَلَوَاتِ فكلُّ الخَيْرِ في مُتابَعَةِ الحَنيفيَّة السَّمْحَة. فَوَاغَوْثَاهُ باللهِ، اللَّهُمّ اهْدِنا إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيم[1] ".

ثالثاً ملازمة خشية الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨].

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن :٤٦].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " أصل العلم خشية الله[2]"

وقَالَ مَسْرُوق رحمه الله تعالى: بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يَعْجَبَ بِعِلْمِهِ وَبِحَسْبِهِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ[3].

رابعاً: نبذ الكبرياء والخيلاء .

هذا موسى عليه السلام، نبي الله ورسوله، وهو كليم الله، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٠٤] ومع كل هذا يحمل غداءه

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٩ / ٤٣٠).

(٢) جامع العلوم والحكم ص٩٥ ، دار المعرفة - بيروت.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم(٣٦٠٢٣).

ليلقى رجلاً ليتعلم منه العلم ، وهو يقول : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف :٦٦ -٦٩].

ومع هذا يتعلم موسى عليه السلام من الخضر ، ويمكن أن يدرج هذا في رواية الأكابر عن الأصاغر، وانظر إلى أسلوب الأدب في قوله : ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩]

ولقد أجاد من قال : تحمل ذل التعلم لعز العلم .

قال أبو حازم رحمه الله: " لاَ تكون عَالمًا حتَّى تكُونَ فِيكَ ثلاث خِصالٍ: لاَ تَبغِي عَلَى مَنْ فوقكَ، وَلاَ تحقرْ مَنْ دُونَكَ، وَلاَ تأخذْ عَلَى عِلْمِكَ دُنْيَا[١] ".

خامساً التحلي برونق العلم وسمت العلماء.

فقد أخرج مسلم عن عَبْد اللَّهِ بْنُ عُمَررضي الله عنهما قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: « بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي(٢ /٢٨٨).

السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ...... الحديث[1]».

وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار [2].

وعن علي رضي الله عنه: تعلموا العلم فإذا علمتم فاكظموا عليه ولا تشوبوه بضحك ولا بلعب فتمجه القلوب[3].

سادساً الزهد وهجر الترفه:

قالَ أَبُو الوَفَاءِ بنُ عَقيل :" عَصَمَنِي اللهُ في شَبابِي بأنواعٍ مِنَ العِصْمَةِ وَقَصرَ مَحَبَّتِي عَلَى العِلْمِ وَماَ خاَلَطْتُ لَعَّاباً قَطُّ، ولاَ عَاشَرْتُ إلاّ أَمْثَالي مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ وَأَناَ فِي عَشْرِ الثَّمانين أَجِدُ الحِرْصَ عَلَى العِلْمِ أَشَدّ مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ ابْنَ العِشْرِين[4] " .

---

(١) أخرجه مسلم(٨) وأحمد(٣٦٧).

(٢) الزهد لوكيع برقم(٢٦٩).

(٣) الدارمي في سننه ج١/ص١٥٢ ح٥٨٢

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي(١٨/ ٤٤٦).

سابعاً الإعراض عن مجالس اللهو واللغو.

قال تعالى :﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا . وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا . وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[الفرقان : ٦٣-٧٧]

فطالب العلم لا يشارك الناس في لغوهم .

ثامناً التحلي بالرفق:

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، يفيض رحمة ورفقاً ، قال تعالى في حقه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه قال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا [١]».

وقال سبحانه :﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال عنه معاوية بن الحكم رضي الله عنه: « مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فوالله مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ [٢] » وذلك لما تكلم معاوية في الصلاة.

وقد أنزل الله تعالى عليه قوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٧٨) وأحمد برقم (١٤٥١٥).

(٢) أخرجه مسلم(٥٣٧).

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى في شأن هذا النبي الكريم ﷺ وأصحابه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال أيضاً جل شأنه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٨٨].

وبوب البخاري فقال: باب الرفق في الامر كله .

وذكر حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: « دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ[١] ».

---

(١) أخرجه البخاري(٦٠٢٤)(٦٢٥٦)(٦٣٩٥)(٦٩٢٧)ومسلم(٢١٦٥).

تاسعاً الثبات والتثبت .

ورد عن يونُس بن يزيد قالَ: قالَ لي ابنُ شِهَابٍ رحمه الله:" يا يُونُس! لاَ تُكَابِرِ العِلْمَ، فإنَّ العلْمَ أَوْدِيَةٌ فأيّهاَ أَخذْتَ فيهِ قطَعَ بِكَ قَبلَ أنْ تبْلُغَهُ، ولَكِنْ خُذْهُ مع الأيَّامِ واللَّيالِي، ولا تأْخُذِ العِلمَ جُمْلَةً، فَإنَّ منْ رَامَ أخْذَهُ جُمْلَةً ذهبَ عنْهُ جملةً ولكن الشَّيْءُ بعْدَ الشَّيء مع اللَّيالِي والأيَّام [1]".

وجاء عن محمّد بن النّضر أنه قال: "أوّلُ العِلْمِ الاِسْتِمَاعُ، ثُمَّ الإِنْصاَتُ، ثُمَّ حِفْظُهُ، ثُمَّ العَمَلُ بِهِ، ثُمَّ بَثُّهُ[2] .

وعن زيد بن الحباب قَالَ : سمعت سفيان الثَّوري وسأله شيخ عن حديثٍ فَلَمْ يجبه ، قَالَ : فَجَلَسَ الشَّيخُ يبكي ، فقام إليه سفيان فقال : يا هذا ! تريد ما أخذته في أربعين سنة أن تأخذه أنت في يومٍ واحد[3].

عاشرا : الرفق في الطلب:

قال الخطيب البغدادي: "ولا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويُحكم حفظه ويُتقنه".

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ص ٤٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي(٨ / ١٥٧).

(٣) حلية الأولياء(٦ / ٣٦٥).

ثم ذكر بإسناده إلى إسماعيل بن علية قال: "كنت أسمع من أيوب خمسة أحاديث، ولو حدثني بأكثر من ذلك ما أردت".

وعن سفيان الثوري قال: "كنت آتي الأعمش ومنصوراً فأسمع أربعة أحاديث، خمسة، ثم أنصرف كراهة أن تكثر وتفلت".

وفي ترجمة سفيان الثوري في الحلية لأبي نعيم الأصبهاني:

عن زيد بن الحُباب قال: "سمعت الثوري وسأله شيخ عن حديث فأجابه، ثم عن آخر فأجابه، ثم عن ثالث فأجابه، ثم سأله في الرابعة، فقال: إنما كنت أقرأ على الشيوخ الحديثيْن والثلاثة، لا أزيد حتى أعرف العلم والعمل بها. فألح الشيخ عليه فلم يجبه. فجلس الشيخ يبكي، فقال له سفيان: يا هذا تريد ما أخذتُه في أربعين سنة تأخذه أنت في يوم واحد؟".

وعن شعبة أيضاً قال: "كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثيْن، فيحدثني، ثم يقول: أزيدك؟ فأقول: لا، حتى أحفظهما وأُتقنهما".

وعن يونس بن يزيد قال: قال لي ابن شهاب: "يا يونس، لا تكابر العلم، فإن العلم أودية بأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع

الأيام والليالي. ولا تأخذِ العلم جملةً، فإن من رام أَخْذَه جملةً ذهب عنه جملةً، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي"

وعن عبد الرزاق عن معمر قال: سمعت الزهري يقول: "من طلب العلم جُملةً فاتَه جملةً، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان".

وجوب التثبت والتبين مما ينقل من أخبار

قالَ الإمامُ الحَافظُ أَبُو القَاسِم بنُ عَسَاكِر[1]- رَحِمَهُ الله تعالى -: "اِعْلَمْ ياَ أخِي وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيّاكَ لِمَرْضَاتِهِ وَجعَلَنا مِمَّنْ يَخْشاَهُ وَيَتَّقِيه، أنَّ لُحُومَ العُلَمَاءِ مَسْمُومِة، وَعَادَةُ اللهِ فِي هَتْكِ أَسْتَار مُنْتَقِصِهِمْ مَعْلُومَة وَأَنَّ مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي العُلَمَاءِ بالثَّلْبِ بَلاَه اللهُ قبلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ القَلْبِ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣]. ا هـ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات :٦].

(١) المجموع، للنووي(١ /٥٨٩) .

حادي عشر : لا تنقل الخطى إلى المحارم:

وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ[١]» .

جاء بشر بن مطر ، قال : سمعت سفيان بن عيينة ، يقول لأصحاب الحديث : « أعلمتم أني كنت قد أتيت فهم القرآن ، فلما قبلت الصرة من أبي جعفر سلبته[٢] » .

أدب الطالب مع شيخه

رعاية حرمة الشيخ:

قال أحمد بن سنان : كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ، ولا يُبْرى قلم ، ولا يقوم أحد كأنما على رؤوسهم الطير ، أو كأنهم في صلاة ، فإن تُحُدِّث أو بُري قلم صاح ولبس نعليه ودخل [٣].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد(٢٢٣٨٦)(٢٢٤١٣)(٢٢٤٣٨) وابن ماجه(٩٠)(٤٠٢٢) وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(٨٤٨).

(٣) سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص٢٠١ .

أدب الطالب مع الشيخ في الحديث والخطاب:

فمن الأدب ألا تناديه باسمه مجرداً، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل: يا شيخى! أو يا شيخنا! فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من غير اضطرار.

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير ﷺ في قوله: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ الآية.

تعلم الطالب من الشيخ في هيئته وسمته:

وقال إبراهيم النخعي: "كنا نأتي مسروقاً فنتعلم من هديه ودلِّه".

وعن ابن وهب قال: "ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه".

ولقد أحسن عبد الله بن المبارك حيث يقول:

أيُّها الطالب عِلماً ... ائتِ حمادَ بنَ زَيْدِ

فَالْتَمِسْ حِلْماً وعِلْماً ... ثمَّ قيِّدْهُ بِقَيْدِ

أدب الطالب مع الشيخ في الحلقة وفي السؤال والاستفسار والاستشكال.

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لابنه: "يا بُنيّ! إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك"[١] .

وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "إن من حق العالم ألا تُكثر عليه بالسؤال، ولا تُعنته في الجواب، وألا تُلحَّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشينّ له سراً، ولاتغتابنّ عنده أحداً، ولا تطلبنّ عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره، وتعظمه لله، ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلسنّ أمامه، وإن كانت له حاجة سبقتَ القوم إلى خدمته"[٢].

أدب الطالب مع الشيخ فيما أخطأ فيه.

فإن النبي ﷺ يقول: "ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه"[٣]

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١ / ١٣٠).

(٢) السابق (١/ ١٢٩).

(٣) رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

ورحم الله أبا القاسم الحافظ بن عساكر القائل: "لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة".

قال ابنُ القيم رحمه الله: إنَّ الرجلَ الجليلَ الذي له في الإسلام قدمٌ صالحٌ وآثارٌ حسنةٌ، قد تكونُ منه الهفوةُ والزلَّةُ هو فيها معذورٌ، بل ومأجورٌ لاجتهاده، فلا يجوزُ أن يُتَّبعَ فيها، ولا يجوزُ أن تُهدَرَ مكانتُهُ ومنزلتُهُ في قلوب المسلمين[1].

أدب الإمام البخاري مع شيخه:

واسمعوا إلى أدب البخاري رحمه الله مع شيخه وكيف رد خطأ شيخه بأدب الرد؛ قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي" وراق البخاري) :"قلتُ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال :ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ قال : عشر سنين أو أقل، ثم خرجتُ من الكتاب بعد العشر، فجعلتُ أختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوماً فيما كان يقرأ على الناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له : يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له : ارجع إلى

(١) إعلام الموقعين(٣ /٢٩٥) .

الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي :كيف هو ياغلام؟ قلت : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه . انتهى

(٦) من الأدب مع الشيخ الكتابة عنه حال الدرس، فالكتابة قيد العلم .

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : سمعت أن قَلَّ رجل يأخذ كتاباً ينظر فيه إلا استفاد منه شيئاً [1].

الأدب مع الرفقاء .

احذر قرناء السوء:

قال تعالى محذراً من قرناء السوء: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ –٢٩].

وأخرج أحمد وأبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ [2]» .

---

(١) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدة ، ص١ .

(٢) حسن: أخرجه أحمد(٨٤١٧) وأبو داود(٤٨٣٣) والترمذي(٢٣٧٨) وحسنه الألباني.

كن محباً لرفقاء الطلب:

فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ[1]».

آداب الطالب في حياته العلمية:

وهي آداب كثيرة منها :

(١) : كبر الهمة في الطلب:

قال أبو هلال العسكري : "وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ: كُنَّا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ، رَأَيْنَا إِلَى جَانِبِهِ فِي مَجْلِسِ الْعَمَلِ زُهَاءَ مِائَةِ مُجَلَّدَةٍ، فَنُنْكِرُ ذَلِكَ، فَفَطِنَ يَوْمًا لإِنْكَارِنَا فقَالَ: إِنِّي أَحْفَظُ جَمِيعَ مَا فِي هَذِهِ الْكُتُبِ، فَإِذَا اشْتَغَلْتُ بِالْعَمَلِ عَنْ دَرْسِهَا، أَحْضَرْتُهَا عِنْدِي، فَكُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا ذَكَرْتُ مَحْفُوظِي مِنْهَا، فَقَامَ ذَلِكَ لِي مَقَامَ الدَّرْسِ.

ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ مِنَّا: خُذْ أَيَّهَا شِئْتَ.

فَأَخَذَ الرَّجُلُ مِنْهَا كِتَابًا، وَقَالَ: هُوَ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ كذَا.

فَابْتَدَأَ أَبُو الْفَضْلِ فَقَرَأَ مِنْ أَوَّلِهِ صَدْرًا، ثُمَّ مِنْ وَسَطِهِ، ثُمَّ مِنْ آخِرِهِ، فَتَحَقَّقَ عِنْدَنَا أَنَّهُ صَدَقَ مَا قَالَ، وَعَجِبْنَا مِنْ حِفْظِهِ وَعِنَايَتِهِ وَحِرْصِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري معلقا ومسلم برقم(٥٥).

وَكَانَ يَأْخُذُ ابْنَهُ أَبَا الْفَتْحِ كُلَّ يَوْمٍ بِدَرْسِ أَلْفَيْ بَيْتٍ قَبْلَ الْغَدَاءِ.

وَكَانَ يَحْفَظُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ بَيْتٍ.

وَكَانَ الأَصْمَعِيُّ يَحْفَظُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَلْفَ أُرْجُوزَةٍ، فِيهَا مَا كَانَ عدد أبياته الْمِائَةَ وَالْمِائَتَيْنِ[1].

(ب) الرحلة لطلب العلم:

روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ،فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ :أَثَمَّ هُوَ ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ،فَقَالَ :قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: لَا أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ ؟قَالَ: لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ.

---

(١) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص ٧٩.

وهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: بلغني حديث عن رسول الله ﷺ لم أسمعه ، فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي وسرت شهراً حتى قدمت الشام فأتيت عبد الله بن أنيس فقلت: للبواب قل له :جابر على الباب ، فأتاه فقال له: جابر بن عبد الله ؟ فأتاني فقال لي فقلت: نعم، فرجع فأخبره فقام يطأ ثوبه حتى لقيني فاعتقنني واعتنقته فقلت حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص ولم اسمعه فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن اسمعه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله العباد – أو قال الناس – عراة غرلا بهماً ، قلنا ما بهماً ؟قال ليس معهم شيء ، ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عنده مظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة، قلنا كيف وإنما نأتي الله عراة غرلاً بهماً ؟ قال بالحسنات والسيئات[1] .

وفي الحديث عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ أَسْأَلُهُ عَنْ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ: ابْتِغَاءَ

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً ، ووصله أحمد(١٦٠٤٢).

الْعِلْمِ، قَالَ : أَلَا أُبَشِّرُكَ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ [1].

ولهذا كان صحابة النبي ﷺ يعرفون فضل العلم ، وفضل الرحلة في تحصيله.

وروى الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الترغيب(٢٣٣٧) عن رجاء بن حيوة قال سمعت مسلمة بن مخلد رضي الله عنه يقول بينا أنا على مصر فأتى البواب فقال إن أعرابياً على الباب يستأذن فقلت من أنت قال أنا جابر بن عبد الله قال فأشرفت عليه فقلت أنزل إليك أو تصعد قال لا تنزل ولا أصعد حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن جئت أسمعه.

قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة، فضرب بعيره راجعاً.

وعن مكحول أن عقبة بن عامر رضي الله عنه أتى مسلمة بن مخلد فكان بينه وبين البواب شيء فسمع صوته فأذن له فقال إني لم آتك زائرا ولكن

---

(١) حسن: أخرجه أحمد(١٨٠٨٩)والترمذي(٣٥٣٥) وحسنه الألباني.

جئتك لحاجة أتذكر يوم قال رسول الله ﷺ من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة؟ قال : نعم ، قال : لهذا جئت[1].

وهذا إبراهيم بن ادهم رحمه الله يقول: إن الله ليدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث .

ويقول الإمام البخاري رحمه الله :كنا ثلاثة أو أربعة على باب ابن عبد الله فقال إني لأرجو أن هذا تأويل الحديث: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم " إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم لان التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات والملك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة أنتم تحيون سنة النبي ﷺ[2].

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب(٢٣٣٦).

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٦٩.

تحمل الصعاب من أجل تحصيل العلم:

وَقد قيل: لَا ينَال الْعلم براحة الْجِسْم.

وَقَالَ بعض الْأَوَائِل: لَا يتم الْعلم إِلَّا بِستَّة أَشْيَاء: ذهن ثاقب، وزمان طَوِيل، وكفاية، وَعمل كثير ومعلم حاذق، وشهوة، وَكلما نقص من هَذِه السِّتَّة شَيْء، نقص بمقداره من الْعلم[1].

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ: قَدْ شَجَّنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ فِي الْعِلْمِ مَرَّتَيْنِ.

وَقَالَ الأَعْمَشُ: الْحِبْرُ فِي ثِيَابِ صَاحِبِ الْحَدِيثِ أَحْسَنُ مِنَ الْخَلُوقِ فِي ثِيَاب الْعَرُوسِ[2].

يقول ابن أبي حاتم الرازي : دخلنا مصر فظللنا سبعة أشهر ما ذقنا فيها مرقاً -يعني لم يأكلوا لحماً سبعة أشهر- نهارنا نطوف على الشيوخ، وليلنا ننسخ فنصحح.

يقول: في يوم من الأيام ذهبنا إلى درس شيخ فقالوا لنا: مريض؛ قلنا: فرصة نأكل، قال: فاشترينا سمكةً عظيمة كبيرة، وكان موعد درس

---

(١) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص ٤٨.

(٢) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص ٦٥.

الشيخ الذي بعده قد دخل، فتركوا السمكة في البيت وذهبوا ليحضروا درس الشيخ، ومرت ثلاثة أيام لم يستطيعوا أن يطبخوا السمكة هذه، وذلك بسبب أنهم لم يجدوا وقتاً لطباختها، لاشتغالهم بالدروس والنسخ والتصحيح، قال أبو حاتم : حتى خشينا أن تفسد فأكلناها نيئة، ولقد كانت رحلاتهم طويلة.

أبو حاتم الرازي يقول: إنه دخل من الري إلى نيسابور، إلى خراسان، إلى القدس، إلى الشام، إلى مصر، وقال: إنه عد كم مشى على رجله إلى سبعة آلاف فرسخ، قال: ثم تركت العد.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: إِنِّي كُنْتُ لأَسِيرُ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ[1].

قصة بقي بن مخلد رحمه الله:

جاء في سير أعلام النبلاء(١٣/٢٩٢): نقل بعض العلماء من كتاب لحفيد بقي عبدالرحمن بن أحمد: سمعت أبي يقول: رحل أبي من مكة إلى بغداد، وكان رجلا بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل.

---

(١) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص ٦٠ .

قال: فلما قربت بلغتني المحنة، وأنه ممنوع، فاغتممت غما شديدا، فاحتللت بغداد، واكتريت بيتا في فندق، ثم أتيت الجامع وأنا أريد أن أجلس إلى الناس، فدفعت إلى حلقة نبيلة، فإذا برجل يتكلم في الرجال، فقيل لي: هذا يحيى بن معين.

ففرجت لي فرجة، فقمت إليه، فقلت: يا أبا زكريا: - رحمك الله - رجل غريب ناء عن وطنه، يحب السؤال، فلا تستجفني، فقال: قل.

فسألت عن بعض من لقيته، فبعضا زكى، وبعضا جرح، فسألته عن هشام بن عمار،، فقال لي: أبو الوليد، صاحب صلاة دمشق، ثقة، وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر، أو متقلدا كبرا، ما ضره شيئا لخيره وفضله، فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك - رحمك الله - غيرك له سؤال.

فقلت - وأنا واقف على قدم: اكشف عن رجل واحد: أحمد بن حنبل، فنظر إلي كالمتعجب، فقال لي: ومثلنا، نحن نكشف عن أحمد ؟ ! ذاك إمام المسلمين، وخيرهم وفاضلهم.

فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج إلي، فقلت: يا أبا عبد الله: رجل غريب، نائي الدار، هذا أول

دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سنة، ولم تكن رحلتي إلا إليك، فقال: ادخل الاصطوان ولا يقع عليك عين (أي جاسوس).

فدخلت، فقال لي: وأين موضعك ؟ قلت: المغرب الاقصى.

فقال: إفريقية ؟ قلت: أبعد من إفريقية، أجوز من بلدي البحر إلى إفريقية، بلدي الاندلس، قال: إن موضعك لبعيد، وما كان شئ أحب إلي من أن أحسن عون مثلك، غير أني ممتحن بما لعله قد بلغك.

فقلت: بلى، قد بلغني، وهذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإن أذنت لي أن آتي كل يوم في زي السؤال، فأقول عند الباب ما يقوله السؤال، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد، لكان لي فيه كفاية.

فقال لي: نعم، على شرط أن لا تظهر في الخلق، ولا عند المحدثين.

فقلت: لك شرطك، فكنت آخذ عصا بيدي، وألف رأسي بخرقة مدنسة، وآتي بابه فأصيح:

الاجر - رحمك الله - والسؤال هناك كذلك، فيخرج إلي، ويغلق، ويحدثني بالحديثين والثلاثة والاكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر أحمد، وعلت إمامته،

وكانت تضرب إليه آباط الابل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي، ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة ، ويقرؤه علي وأقرؤه عليه، واعتللت في خلق معه. انتهى

(ج) حفظ العلم بالكتابة:

العلم يقيد بالكتابة .

وكان عبد الله بن المبارك يقول[1] :

أيها الطالب علماً ... إئت حماد بن زيد

فاستفد حلماً وعلماً ... ثم قيده بقيد

وَقِيلَ لابْنِ الْمُبَارَكِ: إِلَى كَمْ تَكْتُبُ الْحَدِيثَ فَقَالَ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَنْتَفِعُ بِهَا لَمْ أَسْمَعْهَا بَعْدُ[2].

(د) تعاهد المحفوظات بالمذاكرة والنظر:

وَكَانَ أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ إِذَا دَخَلَ الْحَمَّامَ سَمِعْتُ لَهُ هَمْهَمَةً مِنَ الدَّرْسِ وَالْقِرَاءَةِ، وَيَقُولُ: كَانَ يُقَالُ الْعِلْمُ مَا دَخَلَ مَعَكَ الْحَمَّامَ. يَحُثُّ عَلَى الْحِفْظِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط(٣ / ٣٨٠)(٣٤٥٥)، والبغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(١٤٧١).

(٢) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص٦٠.

وَقَالَ بَعْضُ الْفَلاسِفَةِ: الْعِلْمُ مَا إِذَا غَرِقَتْ سَفِينَتُكَ يَسْبَحُ مَعَك. يَقُول الْعلم هُوَ مَحْفُوظ[1].

وقال الشاعر

استودع الْعلم قرطاسا فضيعه ... وَبئسَ مُسْتَوْدَعُ الْعِلْمِ الْقَرَاطِيسُ

(هـ) استكمال أدوات كل فن من فنون العلم.

يعني على كل طالب علم أن يبدأ بعلوم الآلات فيحصل منها العلم الضروري ثم يضرب في كل فن من العلوم فيحصل منه متنا أو كتابا على يد شيخ متقن له، ثم يباشر الطلب بالتخصص في فن معين عن أراد ذلك.

(و) الأمانة العلمية:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في رسائله في العقيدة (٧ / ١١) وهو يوضح خصائص أهل السنة:

" الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

(١) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص٦٧.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، وتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المنقول عنه، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

(ز) المحافظة على ساعات العمر:

ذكر ابن رجب الحنبلي في "الذيل على طبقات الحنابلة" في ترجمة ابنِ عقيل الحنبلي، عن ابنِ الجوزي أنه قال عنه: "كان دائم التشاغُل بالعلم، حتى إني رأيتُ بخَطِّه: إني لا يحلّ لي أن أُضيع ساعةً من عمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مُطالعة، أعملتُ فِكري في حالة

راحتى وأنا مُسْتَطِرِحٌ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجد من حِرصي على العلم وأنا في عَشْر الثمانين أشدّ مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة".

ونقلَ ابنُ رجب من "الفنون" لابن عقيل أنه قال عن نفسِه :أنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سفَّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفّرًا على مطالعةٍ، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه.

وفي "تاريخ بغداد" : أن يحيى بن محمد بن يحيى الذُّهْلي قال: دخلتُ على أبي في الصيف الصائف وقتَ القائلة، وهو في بيت كتبه، وبين يديه السِّراج، وهو يُصنِّف، فقلتُ: يا أبةِ! هذا وقتُ الصلاة، ودُخانُ هذا السِّراج بالنهار، فلو نفَّسْت عن نفسك. قال: يا بُنيَّ تقولُ لي هذا وأنا مع رسول الله – ﷺ– وأصحابه والتابعين".

واشتَرَى أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ لَهُ جَارِيَةً، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، أَقْبَلَ عَلَى الدَّرْسِ، وَالْجَارِيَةُ تَنْتَظِرُ اجْتِمَاعَهُ مَعَهَا، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ سَارَتْ إِلَى النخاس وَقَالَتْ: حَبَسُونِي مَعَ مَجْنُونٍ.

فَبَلَغَ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى قَوْلُهَا، فَقَالَ: الْمَجْنُونُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ الْعِلْمِ ثُمَّ ضَيَّعَهُ، أَوْ تَوَانَى فِيهِ حَتَّى فَاتَهُ[1].

(ح) إجمام النفس:

أخرج مُسْلِمٌ عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيْدِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ : سُبْحَانَ الله، مَا تَقُوْلُ؟! قُلْتُ : نَكُوْنُ عِنْدَ رَسُوْلِ الله ﷺ يُذَكِّرُنا بالنَّارِ والجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّهَا رَأيَ عَيْنٍ، فإذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ عَافَسْنَا (لاعَبْنَا) الأَزْوَاجَ، والأَوْلادَ، والضَّيْعَاتِ؛ فَنَسِينَا كَثِيْرًا . قَالَ : أَبُو بَكْرٍ : فوالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا . قَالَ حَنْظَلَةُ : فانْطَلَقْتُ أنَا وأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنا عَلى رَسُوْلِ الله ﷺ، قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُوْلَ الله : قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «ومَا ذَاكَ؟»، قُلْتُ : يَا رَسُوْلَ الله، نَكُوْنُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والجَنَّةِ حَتَّى كأنَّهَا رَأيَ عَيْنٍ، فإذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكِ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ، والأَوْلادَ، والضَّيْعَاتِ، ونَسِينَا كَثِيْرًا .قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ : «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُم لَوْ تَدُوْمُوْنَ عَلى مَا تَكُوْنُوْنَ عِنْدِي، وفي الذِّكْرِ

(١) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص٧٨.

لَصَافَحَتْكُمُ المَلائِكَةُ عَلى فُرُشِكُم، وفي طُرُقِكُم، ولَكِنْ يا حَنْظَلَةُ : سَاعَةً، وسَاعَةً»، وكَرَّرَ هَذِه الكَلِمَةَ : «سَاعَةً وسَاعَةً» ثَلاثَ مَرَّاتٍ» .

وقال ﷺ: «كُلُّ شَيءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ لَغْوٌ ولَهْوٌ، أو سَهْوٌ؛ إلاَّ أَرْبَعَ خِصَالٍ : مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الغَرَضَيْنِ، وتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، ومُلاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وتَعَلُّمُ السِّبَاحَةِ»[1]. أخرجه النَّسَائِيُّ، والطَّبَرَانِيُّ.

أخرج أحمد في المسند(٢٦٢٧٧) وأبو داود(٢٥٧٨) والنسائي في الكبرى(٨٩٤٣) وصححه الألباني عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلْ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا ، فَتَقَدَّمُوا . ثُمَّ قَالَ لِي: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ : تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا. ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي ،فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ :هَذِهِ بِتِلْكَ».

(١) أَخْرَجَهُ النَّسائيُّ في «السُّنَنِ الكُبْرى» (٨٨٩١)، والطَّبرانيُّ في «المُعْجَمِ الكَبِيْرِ» (٨٩/١)، و«شَرْحَ مُشْكِلِ الآثَارِ» للطَّحَاوِيِّ (٢٩٥)، وهُوَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ، وقَدْ صَحَّحَه الألبَانيُّ في«الصَّحِيْحَةِ» (٣١٥)، و«صَحِيْحَ التَّرغِيْبِ» (١٢٨٢) .

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَعِنْدِى جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِى وَقَالَ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ «دَعْهُمَا» فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَإِمَّا قَالَ « تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ ». فَقُلْتُ نَعَمْ فَأَقَامَنِى وَرَاءَهُ خَدِّى عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ « دُونَكُمْ يَا بَنِى أَرْفِدَةَ ». حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ « حَسْبُكِ ». قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ « فَاذْهَبِى ».

(ط) جرد المطولات:

يعني قراءة الكتب المطولة والموسوعات قراءة سريعة وذلك لأن العمر لا يكفي للقراءة المتأنية والمدققة ، فليجرد المطولات حتى لا يحرم شرف الانتفاع بها.

(ي) التحلي بالعمل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا . وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا .وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[النساء: ٦٦ –٦٨].

فالعلمُ يُتعَلَمُ للعملِ ، كما قيل : العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل[1].

وورد أيضاً عَنْ عليٍّ رضِي اللّهُ عنهُ قال: " ياَ حَمَلَةَ العِلْمِ اِعْمَلُوا بِهِ فَإِنَّماَ العالم منْ عَمِلَ بِماَ عَلِمَ فوَاَفَقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ سَيُكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ العِلْمَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يُخَالِفُ عِلْمُهُمْ عَمَلَهُمْ، وَتُخَالِف سَرِيرَتُهُمْ عَلانِيَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حِلَقًا حِلَقًا فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضَا حَتَّى إِنّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ إذا جَلَسَ إلىَ غيْرِهِ ويدَعَهُ أولئكَ لاَ تَصْعدُ أعمالُهُم في مَجالِسِهم إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[2]" .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَماَءِ : ثَمَرَةُ الْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ ، وَثَمَرَةُ الْعَمَلِ أَنْ يُؤْجَرَ عَلَيْهِ .

---

(١) منسوب إلى علي رضي الله عنه ،أورده ابن عبد البر في "الجامع" "رقم ١٢٧٤"، ونسب إلى ابن المنكدر أورده الخطيب في اقتضاء العلم العمل رقم(٤١) ، وتاريخ دمشق(٥٦ /٦٦)، ونسب إلى الثوري كما في جامع بيان العلم لابن عبد البر رقم (١٢٧٤).

(٢) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب ص ٨٥ .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مِنْ تَمَامِ الْعِلْمِ اسْتِعْمَالُهُ ، وَمِنْ تَمَامِ الْعَمَلِ اسْتِقْلَالُهُ، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ ، وَمَنْ اسْتَقَلَّ عَمَلَهُ لَمْ يَقْصُرْ.

(ك) العيش مع الكتاب والسنة وعلومهما:

يعني العيش بالمنهج ومع المنهج الصحيح القرآن والسنة بفهم السلف الأوائل ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[النساء: ٥٩]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "قال مجاهد وغير واحد من السلف: أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة".

وقال القرطبي: "أي ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى رسوله بالسؤال في حياته، أو بالنظر في سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة، وهو الصحيح."

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: يا أيها الناس: إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي" رواه الحاكم وصححه الألباني .

وقال ﷺ : "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض" رواه البزار وصححه الألباني.

التعلم من الشيوخ المتقنين

قال الشاعر:

مَنْ يَأْخُذِ الْعِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً *** يَكُنْ عَنِ الزَّيْغِ وَالتَّصْحِيفِ فِي حَرَمِ
وَمَنْ يَكُنْ آخِذًا لِلْعِلْمِ مِنْ صُحُفٍ *** فَعِلْمُهُ عَنْدّ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ

محاذير لطالب العلم :

(١) التشبع بما لم يعط:

والله عز وجل يقول: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران:١٨٨)

وفي الحديث قال ﷺ: « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ[١]».

(٢) احذر أن تكون أبا شبر: قال بعض السلف : العلم ثلاثة أشبار من أخذ الشبر الأول تكبر ، ومن أخذ الشبر الثاني تواضع ، ومن أخذ الشبر الثالث علم أنه جاهل ، فإياك أخي أن تكون أبا شبر.

(١) أخرجه البخاري(٥٢١٩)ومسلم(٢١٢٩)وأحمد(٢٦٩٧٧) والترمذي(٢٠٣٤).

وَقَدْ قَالَ الشَّعْبِيُّ : الْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ، وَمَنْ نَالَ الشِّبْرَ الثَّانِيَ صَغُرَتْ إلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْهُ، وَأَمَّا الشِّبْرُ الثَّالِثُ فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا (١).

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ يَعْرِفُ كُلَّ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : كُلُّ النَّاسِ .

يقول الإمام الشافعي . رحمه الله . : كل يوم أزداد فيه علماً يظهر لي فيه مدى جهلي .

وقال الماوردي : وَمِمَّا أُنْذِرُك بِهِ مِنْ حَالِي أَنَّنِي صَنَّفْت فِي الْبُيُوعِ كِتَابًا جَمَعْت فِيهِ مَا اسْتَطَعْت مِنْ كُتُبِ النَّاسِ ، وَأَجْهَدْت فِيهِ نَفْسِي وَكَدَدْت فِيهِ خَاطِرِي ، حَتَّى إذَا تَهَذَّبَ وَاسْتَكْمَلَ وَكِدْت أَعْجَبُ بِهِ وَتَصَوَّرْت أَنَّنِي أَشَدُّ النَّاسِ اضْطِلَاعًا بِعِلْمِهِ ، حَضَرَنِي ، وَأَنَا فِي مَجْلِسِي أَعْرَابِيَّانِ فَسَأَلَانِي عَنْ بَيْعٍ عَقَدَاهُ فِي الْبَادِيَةِ عَلَى شُرُوطٍ تَضَمَّنَتْ أَرْبَعَ مَسَائِلَ لَمْ أَعْرِفْ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جَوَابًا ، فَأَطْرَقْت مُفَكِّرًا ، وَبِحَالِي وَحَالِهِمَا مُعْتَبِرًا فَقَالَا : مَا عِنْدَك فِيمَا سَأَلْنَاك جَوَابٌ ، وَأَنْتَ زَعِيمُ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؟ فَقُلْت : لَا .

فَقَالَا : وَاهًا لَك ، وَانْصَرَفَا .

---

(١) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ص ٨٣، طبعة دار إقرأ ، بيروت .

ثُمَّ أَتيَا مَنْ يَتَقَدَّمُهُ فِي الْعِلْمِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِي فَسَأَلَاهُ فَأَجَابَهُمَا مُسْرِعًا بِمَا أَقْنَعَهُمَا وَانْصَرَفَا عَنْهُ رَاضِيَيْنِ بِجَوَابِهِ حَامِدَيْنِ لِعِلْمِهِ ، فَبَقِيت مُرْتَبِكًا، وَبِحَالِهِمَا وَحَالِي مُعْتَبِرًا وَإِنِّي لَعَلَى مَا كُنْت عَلَيْهِ مِنْ الْمَسَائِلِ إلَى وَقْتِي، فَكَانَ ذَلِكَ زَاجِرَ نَصِيحَةٍ وَنَذِيرَ عِظَةٍ تَذَلَّلَ بِهَا قِيَادُ النَّفْسِ، وَانْخَفَضَ لَهَا جَنَاحُ الْعُجْبِ ، تَوْفِيقًا مُنِحْتَهُ وَرُشْدًا أُوتِيتَهُ [1] اهـ.

(٣) احذر التصدر قبل التأهل:

فمن تصدر قبل أوانه، فقد تعرض لهوانه.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مِنْ الْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا تَعْلَمُ بِكَلَامِ مَنْ يَعْلَمُ فَحَسْبُك جَهْلًا مِنْ عَقْلِك أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَفْهَمُ[2] .

قَالَ سُفْيان الثَّوري : مَنْ حدّث قبل أن يحتاج إليه ذَلَّ[3] .

وَقَالَ أيضًا : إذا ترأس الرَّجُل سَرِيعًا أَضَرَّ بِكَثِيرٍ من العلم ، وإذا طَلَب وطَلَب بلغ[4] .

---

(١) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ص ٨٤.

(٢) فيض القدير للمناوي(١ /٢٠٦).

(٣) حلية الأولياء(٦ /٣٦٣).

(٤) حلية الأولياء(٧ / ٨١).

والرسول ﷺ يقول: « المتشبع بما لم يعطَ كلابس ثوبي زور [(١)]».
وَقَالَ سُفْيَانُ: مَنْ تَرَأَّسَ سَرِيعًا أَضَرَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَنْ لَمْ يَتَرَأَّسْ طَلَبَ وَطُلِبَ حَتَّى بلغ[(٢)].

ويقول أبو حنيفة رحمه الله: من طلب الرئاسة في غير حينه لم يزل في ذل ما بقي، واللبيب من صان نفسه عن تعرضها لما يعد فيها ناقصاً، وبتعاطيه إياها ظالماً[(٣)].

وَكَانَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : مَنْ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَيَنْبَغِي لَهُ قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ فِيهَا أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَكَيْفُ يَكُونُ خَلَاصُهُ فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ يُجِيبَ فِيهَا .
وَسُئِلَ مالك عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ خَفِيفَةٌ سَهْلَةٌ ، فَغَضِبَ ، وَقَالَ : لَيْسَ فِي الْعِلْمِ شَيْءٌ خَفِيفٌ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ فَالْعِلْمُ كُلُّهُ ثَقِيلٌ ،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص٦٠.

(٣) آداب العلماء والمتعلمين ص٩.

وَخَاصَّةً مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ : مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ ، وَقَالَ : لَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِشَيْءٍ حَتَّى يَسْأَلَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَمَا أَفْتَيْتُ حَتَّى سَأَلْتُ رَبِيعَةَ وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ ، فَأَمَرَانِي بِذَلِكَ ، وَلَوْ نَهَيَانِي انْتَهَيْتُ ، قَالَ : وَإِذَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَصْعُبُ عَلَيْهِمْ الْمَسَائِلُ ، وَلَا يُجِيبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ مَسْأَلَةٍ حَتَّى يَأْخُذَ رَأْيَ صَاحِبِهِ مَعَ مَا رُزِقُوا مِنْ السَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ وَالطَّهَارَةِ ، فَكَيْفَ بِنَا الَّذِينَ غَطَّتْ الذُّنُوبُ وَالْخَطَايَا قُلُوبَنَا ؟ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَكَأَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ(١).

ولبعضهم في تدريس من لا يَصْلُحُ:

تصدر للتدريس كل مهوس ... جهولٌ تسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

وقديماً قالوا: تزببوا قبل أن يتحصرموا، أي تصدروا قبل نضوجهم واستوائهم، ولذلك كان الطعم مراً.

---

(١) اعلام الموقعين (٤/ ١٦٧).

وفي الحديث الذي رواه الإمام الترمذي و ابن ماجة و البيهقي ، وصحح الحديث الألباني من حديث كعب بن مالك ، أنه ﷺ قال: « من تعلم العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار».

(٤) احذر التنمر بالعلم:

والمقصود به انتقاص زملاء الطلب بسبب جهلهم بمسألة من مسائل العلم، وبعض الطلاب يجعل ذلك ديدنا له بأن يبحث مسألة من مسائل العلم سيما الغرائب ثم إذا اجتمع بزملائه ناقشهم في المسالة وتنمر عليهم، وهكذا.

(٥) احذر الحزبية:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عند علامة أهل العبودية(١):

"العلامة الثانية: قوله:"ولم ينسبوا إلى اسم"؛ أي:لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق.

وأيضاً؛ فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال؛ فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧٢).

وأما العبودية المطلقة؛ فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها؛ فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم؛ فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال:

الرسول. وعن طريقه؟ قال: الأتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقصده ومطلبه؟ قال: ﴿يريدون وجهه﴾. وعن رباطه ؟ قال: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾. وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: "مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربها".

واحسرتاه تقضي العمر وانصرمت... ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد...ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قال: "قوله" "أولئك ذخائر الله حيث كانوا"؛ ذخائر الملك: ما يخبأ عنده، ويدخره لمهاته، ولا يبذله لكل أحد؛ وكذلك ذخيرة الرجل: ما

يذخره لحوائجه ومهماته. وهؤلاء؛ لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، غير مشار إليهم، ولا متميزين برسم دون الناس، ولا منتسبين إلى اسم طريق أو مذهب أو شيخ أو زي؛ كانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة.

وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات؛ فإن الآفات كلها تحت الرسوم والتقيد بها، ولزوم الطرق الاصطلاحية، والأوضاع المتداولة الحادثة.

هذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله، وهم لا يشعرون.

والعجب أن أهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة، والسير إلى الله، وهم - إلا الواحد بعد الواحد - المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود.

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى "السنة".

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها[1].

فمن الناس من يتقيد بلباس ، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره وإن كان غيره أقرب إلى السنة منه.

---

(١) هذا إذا قابلنا أهل السنة بغيرهم كالروافض والمعتزلة والجهمية، فالسنة في مقابل غيرها من الفرق تعني أهل السنة.

يقول الشيخ ابن عثيمين: فيجب على طالب العلم أن يتخلى عن: الطائفية والحزبية ، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة أو على حزب معين، فإن هذا لا شك خلاف ما كان عليه السلف ، والسلف الصالح ليس عندهم حزبية ، كلهم واحد ينضوون تحت قول الله – عز وجل –: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾(الحج:٧٨)

فلا حزبية ولا تعدد، ولا موالاة ، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فمن الناس مثلاً من يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجها ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلاً عليه، ويحامي دونها، ويضلل من سواه حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منه، ويأخذ بمبدأ: من ليس معي فهو عليَّ ،وهذا مبدأ خبيث؛ لأن هناك وسطاً بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك بالحق، فليكن عليك فإنه في الحقيقة معك؛ لأن النبي ﷺ قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المسلمين، وتنوعت الطرق، وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضاً، ويأكل لحم أخيه ميتاً، لحقهم الفشل كما قال الله تعالى:﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦) لذلك نجد بعض طلاب

العلم يكون عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل ويعادي من سواه، ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه هو العالم المصلح، ومن سواه إما جاهل أو مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ قول من وافق قوله الكتاب والسنة وقول أصحاب رسول الله ﷺ[1]. انتهى

ترجمة الألبيري[2]

هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التُجَيْبِي الغِرْنَاطِيِّ الأَلْبِيرِيِّ الأَنْدَلُسِيِّ، ويُكْنَى بأَبِي إِسْحَاقَ، وهو من أصحاب أبي عبد الله ابن أبي زمنين ، العالم السلفي المعروف وروى عنه كتبه، وأَصْلُهُ مِنْ أهلِ حِصْنِ العقاب.

ولد عام: ٣٧٥ هـ الموافق عام ٩٨٥م، وكان أديباً معروفاً وشاعرًا مشهوراً في أهل غرناطة بالأندلس، ولقد اختلف معملك غرناطة باديس بن حبوس وأنكر عليه اتخاذه وزيراً من اليهود اسمه إسماعيل ابن نغزلة فنفاه الملك إلى البيرة، فألّف إبراهيم أبو إسحاق في منفاه قصيدة أدت لثورة

(١) كتاب العلم لابن عثيمين ص٣٥ .

(٢) له ترجمة في كل من : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٤ /٨٢٨) للقاضي عياض، والمغرب في حلي المغرب ص ١٣٢- ١٣٣، ونفح الطيب للمقريء التلمساني (٣ /٤٩١) ،وأعلام الزركلي (١ /٧٣).

أهل صنهاجة على الوزير اليهودي فقتلوه، ومطلعها: " ألا قل لصنهاجة أجمعين".

له أكثر من أربعين قصيدة، وكان شعره يتناول الحكم والمواعظ، وأشهر قصائده قصيدته التي أثارت أهل صنهاجة سنة ٤٥٩هـ ، على ابن نغزلة اليهودي .

توفي أبو إسحاق في عام٤٦٠ هـ ، الموافق عام ١٠٦٨م.

وحدث عنه عبد الواحد بن عيسى الهمذاني: من أهل غرناطة، يكنى: أبا محمد.

كان فقيهاً حافظاً للفقه، درباً بالفتوى، ديناً فاضلاً.

وله ديوان شعر جمع له فيه الكثير من القصائد ، كلها في الفضائل والحث على مكارم الأخلاق.

ومن شعره قصيدته الفريدة والتي تسمى بـمنظومة الألبيري أو تائية الألبيري في ذَكَرَ العِلْمَ وفَضْلَهُ والحثَّ عليه والعناية به، قالها في نصح شاعر شابّ قد هجاه، يقال له أبو بكر[1]، فأغضى عن سبابه وشتمه بل

(١) ذكر كثير من المصادر أنه قالها في نصح ولده ، ولكن من يطالع القصيدة يرى أنها في توجيه من سبه وشتمه إلى التحلي بالعلم ومكارم الأخلاق ، وخشية الله تعالى والخوف من عقابه سبحانه، ولهذا يستبعد أن يكون ولده .

وعفى عنه ووعَظَهُ موعظة بليغة، وقد حوت بدائع الحِكَم والوصايا التي يحتاجها طالب العلم من التزود والنهل من العلم والتخلّق بطيّب الأخلاق والفِعال وقد اشتُهرت هذه القصيدة عند طلاب العلم، بسبب ورع صاحبها وعفوه عن المسيء، وتنازله عن حقه، والقصيدة عدد أبياتها ١١٥ بيتاً.

شهره القصيدة :

وقد اشتهرت القصيدة شهرة واسعة في الآفاق، وتمثل بها العلماء ، لما تحويه من آداب لطالب العلم في الدرس والتدريس والأخذ من العلماء والحث على مكارم الآداب والأخلاق.

مميزات القصيدة:

بالإضافة إلى زف عدد من الآداب حوتها القصيدة ، والحث عليها ، عاد أبو إسحاق فعنى نفسه بالكلام ، وهذه لفته طيبة يبين فيها أن الناصح لا يخلو من عيب وأنه أولى الناس بما ينصح به، فلابد لمن نصح أن يعمل بما نصح به ، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤) ، وقال تعالى حاكياً قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ

أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

وقال الشاعر:

يا أيها الرجل المعـــــلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإن انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما تقول و يقتدى ... بالقول منك و ينفع التعليم

لا تنه عن خلق و تأتي مثـــله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

نسخ القصيدة:

(١) طبعة جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤م ، وهي طبعة للقصيدة مفردة.

(٢) مطبوعة ضمن ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، بدار قتيبة - دمشق، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م، بتحقيق : د/ محمد رضوان الداية.

(٣) طبعة مكتبة السنة بالقاهرة، ١٤٢٣ هـ ،٢٠٠٢م بعناية مركز السنة للبحث العلمي بالقاهرة.

والآن تعالوا إلى هذه القصيدة النافعة إن شاء الله، قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

(١) تفتُ فؤادَكَ الأيامُ فتَا ... وتنحتُ جسمَكَ الساعاتُ نحتَا

قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم:٥٤).

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله : لو قيل لحماد بن سلمة إنك ستموت غداً ما قدر أن يزيد في عمله شيئاً.

(٢) وتدعوك المنونُ دعاءَ صدقٍ ... ألا يا صاحِ أنت أريد أنتا

والمنون أي الموت ، قال تعالى :﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل:٦١] .

قوله "ألا يا صاح" أي يا صاحبي وهذا يعرف بالترخيم في اللغة ، كما نادى النبي ﷺ عائشة : يا عائش[١] ، ونادى أبا هريرة : أبا هر[٢].

---

(١) أخرجه البخاري(٣٧٦٨) ومسلم(٢٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري(٢٨٥)(٥٣٧٥).

قوله "أنت أريد أنتا" للتأكيد.

(٣) أراك تحب عِرساً ذات خدرٍ[1] ... أبت طلاقها الأكياسُ بتا

قوله "عرساً ذات خدر" يقصد بها الدنيا ، فشبه الدنيا بالعروس الفاتنة ، وذات خدر أي ذات خباء، مخبأة في بيتها أو خيمتها أو حجابها ، فلا تخرج إلا للضرورة ، وإذا خرجت فمغطاة بالحجاب الشرعي ، فلا يرى منها شيء ، ولهذا جاء في الحديث عن أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله قال ﷺ: « لِتَخْرُجْ الْعَوَاتِقُ ذَوَاتُ الْخُدُورِ أَوْ الْعَوَاتِقُ وَذَوَاتُ الْخُدُورِ وَالْحُيَّضُ فَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ وَيَعْتَزِلُ الْحُيَّضُ الْمُصَلَّى[2] ». وذلك في صلاة العيدين.

قوله "أبت طلاقها الأكياس بتا" أبت أي قطع وأكد ، والأكياس جمع كيس وهو العاقل الفطن، والمعنى أن العقلاء طلقوها طلاقاً بلا رجعة فيه ، لحقارتها ودنوها .

---

(١) في بعض النسخ : ذات غدر.

(٢) أخرجه البخاري(٩٧٤)(١٦٥٢) ومسلم(٨٩٠).

وقد قال بعضهم : لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خذف يبقى ، لفضلت الآخرة على الدنيا لبقاء الخذف ، فكيف والدنيا خذف فاني والآخرة ذهب باقي.

ولهذا جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مرفوعاً:« مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا(١)».

(٤) تنام الدهر ويحك في غطيطٍ ... بها حتى إذا مِتَ انتبهتا

" ويحك " كلمة اعتراض وزجر وتنبيه مع رحمة ولين ، والمعنى كيف تنام وتغفل عما هو مطلوب تحصيله من الدنيا ؟!!! وهو الاستعداد وأخذ الزاد منها للآخرة ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، فأنت تزرع فيها لتحصد في الآخرة.

قوله " في غطيط " والغطيط صوت المستغرق في النوم.

قوله "حتى إذا مت انتبهتا" كما قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ .لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا

---

(١) أخرجه أحمد(٤٢٠٨) وأبو يعلى(٤٩٩٨) وهو ضعيف.

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:٩٩ -١٠٠]. وحينها لا ينفع الندم .

(٥) فكم ذا أنت مخدوع وحتى ... متى لا ترعوي عنها وحتى

قوله "متى لا ترعوي عنها" وتروعوي أي تكف وتمتنع .

(٦) أبا بكر دعوتك لو أجبتا ... إلى ما فيه حظك لو عقلتا

قوله "أبا بكر دعوتك لو أجبتا" وهنا حرف النداء محذوف مراعاة للوزن من ناحية ، وللاستغناء عنه من ناحية أخرى.

والنداء نصيحة لولده ، والنصح للولد ليس فيه ثم خداع ولا غش ولا كذب ، لأن الولد فلذة الكبد ، الذي خرج من صلب الإنسان ، ومحبة الأولاد فطرة فطر الله الناس عليها ، انظروا إلى قصة نوح مع ابنه ، قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ . وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ

لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢ -٤٧].

وهذا لقمان عليه السلام يناصح ولده : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٣ -١٩].

قوله : "إلى ما فيه حظك لو عقلتا" أي سعادتك ، وقوله " لو عقلتا " لأنه لا ينتفع بالنصيحة إلا العقلاء ، أولوا الأحلام والنهى ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣).

(٧) إلى علمٍ تكون به إماماً ... مطاعاً إن نهيتَ وإن أمرتَا

قوله "مطاعاً إن نهيتَ وإن أمرتَا" والمعنى أن الإمامة لا تكون إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤).

وقال شيخ الإسلام : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

ولهذا كان من دعاء عباد الرحمن : ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

أي اجعلنا للمتقين قدوة وأسوة.

(٨) ويجلو ما بعينك من غِشاها[1] ... ويهديك الطريقَ إذا ضللتَ

قوله "ويجلو ما بعينك من غِشاها" ويجلو أي يزيل ، وغشاها بكسر الغين أي غطائها فالغشاوة الغطاء والحاجز الذي يمنع رؤية العين بوضوح.

---

(١) في ضبط عشاها بالعين والعشى ضعف البصر.

قوله " ويهديك الطريق إذا ضللتا " فالعلم يعصم من الضلال ، ولهذا تجد الأفكار المنحرفة كلها منشؤها الجهل ، ولا تفشو إلا في المجتمعات التي فرطت في التعلم ، ولهذا قال النبي ﷺ :« ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال [١]». والعي أي الجهل.

(٩) وتحملُ منه في ناديك تاجاً ويكسوك الجهالَ إذا عريتا

قوله " وتحمل منه في ناديك تاجاً" فصاحب العلم متوج بالعلم ، لأن حاجة الناس إلى العلماء أكثر من حاجتهم إلى الملوك والامراء ، ولذلك يسمع الناس للعلماء ويطيعون لا سيما العلماء الربانيين.

فدل ذلك على فضل العلم ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

قوله " ويكسوك الجمال إذا عريتا" فليس الجمال بالملبس الحسن ، وانما بحسن المنطق والكلام ، قال النبي ﷺ :« رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ[٢]».

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود(٣٣٦) وابن ماجة (٥٧٢) وأحمد(٣٠٥٦).

(٢) أخرجه البخاري(١١٢٦)(٦٢١٨) والترمذي(٢١٩٦) عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها.

(١٠) ينالك نفعه ما دمت حيا ... ويبقى ذخرُه لك إن ذهبتا

قوله " ينالك نفعه ما دمت حيا " أي ينتفع صاحب العلم بعلمه في الدنيا، بل ينتفع به غيره ، لأن نفع العلم متعدي.

قوله " ويبقى ذخره لك إن ذهبتا " أي يبقى نفعه بعد الموت ، لأن النبي ﷺ قال :« إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ[١]».

ولهذا جاء في فضل العلم قوله ﷺ :« من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر[٢]».

وما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يستزيد من شيء إلا من العلم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

---

(١) أخرجه مسلم(١٦٣١).

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٦٨٢).

وفي صحيح مسلم أن نافع بن عبد الحرث لقي عمر بعسفان ، وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملته على أهل الوادي ؟ فقال: ابن أبزى.

فقال: ومن ابن أبزى ؟ قال: مولى من موالينا.

قال: فاستخلفت عليهم مولى ؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض.

قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

وفي الحديث قال ﷺ: « ليَلِنِي منكم أولو الأحلام والنُهَى[1]».

والفقه في الدين دليل على إرادة الله الخير بالعبد، فقد أخرج البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قال:« مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٤٣٢).

(١١) هو العضبُ المهندُ ليس ينبو ... تصيبُ به مقاتلَ من أردتا

قوله " هو العضبُ المهندً ليس ينبو" العضب أي السيف المسلول، والمهند أي السيف الهندي منسوب للهند ،" ليس ينبو" أي لا يضعف والمعنى لا ينثني .

قوله " تصيبُ به مقاتلَ من أردتا" أي تقضي بالعلم على الشبهات وتدحضها ، كما يقضي السيف على الخصوم في مقاتلهم ، فالعلماء هم السبل والوسائل الذي يحفظ الله سبحانه وتعالى دينه ، فكم من شبهة أطلت برأسها؟ فلما قام لها العلماء ولت منهزمة خائبة خاسرة، فالعلماء هم حراس الحدود وحفظة حوزة الدين .

(١٢) وكنزٌ لا تَخَافُ عليه لِصاً ... خفيفُ الحِمْلِ يوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا

فالعلم كنز لا يخشى عليه من اللصوص لأنه في الصدر، وهو خفيف الحمل يحمله الإنسان كلما غدا أو راح، والعلم خفيف الحمل ولكنه صعب التحصيل ، قال تعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان: ٢٧).

(١٣) يزيدُ بكثرةِ الإنفاقِ منه ... وينقصُ إنْ به كفاً شدَدَتَا

فالعلم يزيد بالنفقة منه، لأن في نفقة العلم مذاكرته ، وتفتح مسائل وفوائد ولطائف ، حتى لو شرحت كتاباً ما مرات ، ففي كل مرة تأتي فتوح من الله لم تكن في سابقتها ، ولهذا فالعلم ينقص بكتمانه لأنه ينسى .

(١٤) فلو قد ذقتَ من حلواه طعماً .. لآثرتَ التعلمَ واجتهدتا

قوله " فلو قد ذقتَ من حلواه طعماً " نعم للعلم حلاوة ، حلاوة ليست حسية ، بل تكون أحياناً أعلى من الحسية ، فأحياناً ينسى العالم أشهى الطعام والشراب لأنه مشغول في مسألة علمية ، ويكابد طالب العلم السهر والمشقة ويؤثرها على النوم والراحة لأنه مستمتع لحلاوة العلم ، ومثله قول رسول الله ﷺ : « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِ[(١)] ». ولهذا رأينا من العلماء من باع أثاثَ بيته ليحصل مؤونَة الطلب ونفقتَه ، ومنهم من أكرى نفسَه ، ومنهم من جاعَ في سبيلِ تحصيلِ العلمِ كأبي هريرة رضي الله عنه ، ومنهم من ضل في الصحراء ، ومنهم من ترك التزوج وآثر عليه العلم كالنووي وشيخ

(١) أخرجه البخاري(١٩٦٤) ومسلم(١١٠٥) عن عائشة رضي الله عنها.

وأخرجه البخاري(١٩٦٣)(١٩٦٧)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه البخاري(١٩٢٢) ومسلم(١١٠٢) عن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الاسلام ابن تيمية وغيرهما الكثير ، لقد وصف ابن القيم الجنة في كتابه " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" وصفاً كأنه عاش فيها ، لأنه تعلم علماً ذاق حلاوته واجتهد فيه وأفنى عمره في تحصيله.

(١٥) ولم يشغلك عنه هوى مطاع ... ولا دنيا بزخرفها فتنتا

(١٦) ولا ألهاك عنه أنيقُ روضٍ ... ولا خدرٌ بزينتها كلفتا

قوله " ولا ألهاك عنه أنيقُ روضٍ" أي من الأزهار والبساتين والحدائق ، ولا أي من زينة الدنيا من بيوت ومراكب وزوجات وأموال فاللذة بالعلم أعلى من كل ذلك.

قوله " ولا خدرٌ بزينتها كلفتا" أي ولا زوجة جميلة تزينت ، والكلف درجة عالية من درجات المحبة ، كاللوعة والغرام والهيام وغير ذلك.

(١٧) فقوتُ الروحِ أرواحُ المعاني ... وليس بأن طعمت ولا شربتا

(١٨) فـواظبه وخــذ بالجد فيه ... فإن أعطـــاكه الله انتفعتا

قوله: " فقوتُ الروحِ أرواحُ المعاني " نعم العلم غذاء الروح ، فكل زينة الدنيا من طعام وشراب ونكاح وغيره قوت البدن ، أما الرُّوح فقوتها العلم ، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام :١٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قوله: " فواظبه وخذ بالجد فيه " ولهذا كان شيخ الإسلام إذا أعيته مسألة مرغ جبهته بالأرض وقال :" اللّهم يا معلم آدم علمني ، ويا مفهم سليمان فهمني[١] ". فيفتح الله عز وجل عليه.

والله يقول :﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(١٩) وإن أوتيت فيه طول باع ... وقال الناس إنك قد علمتَا

(٢٠) فلا تأمن سؤالَ الله عنه ... بتوبيخٍ: علمتَ فهل عملتَا

فلابد من العلم والعمل ، لأنك مسئول عن علمك ، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:٤٤) ، وقال تعالى حاكياً قول شعيب عليه السلام

(١) العقود الدرية ص ٢٦، وهو في الكواكب ص ٧٨ .

لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨).

وعَنْ أَبِى بَرْزَةَ الأَسْلَمِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ [(١)]».

(٢١) فرأس العلمِ تقوى اللهِ حقًا ... وليس بأن يُقَاَل لقد رأستَا

فرأس العلم تقوى الله ، قال الله سبحانه : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨].

وعنْ مَسْروقٍ ، قال : «كفى بالمَرْءِ عَلْماً أنْ يخشَى اللَّهَ ، وكفى بالمَرْءِ جهلاً أنْ يُعْجَب بعلْمه[(٢)]».

فينبغي أن يكون طلاب العلم من أخشى الناس لله وأتقاهم لله عز وجل.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤١٧).

(٢) أبو خيثمة في كتاب العلم ج١/ص٩ ح١٥.

(٢٢) وأفضل ثوبك الإحسان لا أن ... ترى ثوب الإساءة قد لبستا

(٢٣) إذا ما لم يفدك العـــلم خيراً ... فخـــير منه أن لو قد جهلتا

ومن ثوب الإساءة ابتغاء الدنيا بعمل الآخرة ، أن يبتغي بعلمه منصبا دنيوياً ، أو تحصيل مالٍ أو شهرة أو جاه .

"إذا ما لم يفدك العلم خيرا" وما زائدة للنظم ، " فخير منه أن لو قد جهلتا" فالعلم الذي لا ينفع وبال على صاحبه ، فينبغي لحامل العلم أن يقضي به ولو على أقرب الأقربين ولو على نفسه.

(٢٤) وإن ألقاك فهمُك في مهاوٍ ... فليتَك ثم ليتَك ما فَهِمتَا

قوله : " وإن ألقاك فَهْمُكَ في مهاوٍ " والمعنى أنَّ الفهمَ السقيمِ المعوج خيرٌ منه الجهلُ ، لأن الجهلَ وهو عدمُ المعرفةِ جهلٌ بسيطٌ ، أما الفهمُ الغلطُ فهو جهلٌ مركبٌ، يُحكى أن رجلاً اسمه توما ادعى الحكمة والطب، وزعم أنه يشفي من الأدواء، وذات يوم قرأ في كتب الطب النبوي حديث: (الحبة السوداء دواء لكل داء)، فقرأها الحية بالياء المثناة التحتانية ، وصار ينصح الناس بأكل الحيات السوداء، فصاروا يعالجون بها ويموتون، فلذلك قيل عنه:

قال حمار الحكيم توما ... لو أنصفوني لكنت أركب

لأنني جاهل بسيط ... وصاحبي جاهل مركب

ويذكر أنه حث الناس بالتصدق ببناتهم علي غير المتزوجين صدقة لله ، مثل ما يحثهم علي التصدق بالدراهم للجائعين أو بالطعام للجائعين . فيقال : تصدق بالبنات علي البنين يريد بذاك جنات النعيم!! عافانا الله من الفهم السقيم.

(٢٥) ستجنى من ثمار العجز جهلاً ... وتصغر في العيون إذا كبرتا

قوله :" ستجنى من ثمار العجز جهلاً " أي العجز عن طلب العلم ، لأن طلب العلم يحتاج إلى همة عالية من مكابدة السفر والرحلة للعلماء ، ومن معاناة السهر وقلة النوم ، ومن بذل النفقات والتعرض للفاقة والفقر، ونحو ذلك فلا يصبر للعلم إلا ذو همة وإخلاص.

قوله :" وتصغر في العيون إذا كبرتا" فالجهل يصغر صاحبه مهما كبر في السن أو المنصب أو المال ، فكم أساتذة في الجامعات لا يعرفون فقه الوضوء ولا الصلاة ونحو ذلك ، بل تجد منهم الكثير يخطئون في قراءة القرآن ، ولا يعرفون تجويده، بعضهم قرأ ألف لام ميم ألم؟!!!! ، وذلك في الحروف المقطعة في أوائل بعض السور ، مع أنه أستاذ كبير !!!!.

(٢٦) وتُفْقَدُ إن جهلتَ وأنت باقٍ .. وتُوجَدُ إن علمتَ ولو فُقِدْتَا

لأن النبي ﷺ قال : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ[1]».

(٢٧) وتذكر قولتي لك بعد حينٍ ... إذا حقاً بها يوماً عملتا

قوله :" وتذكر قولتي لك بعد حينٍ " أي ستذكر نصيحتى إذا امتثلت أمري وأخذت بتوجيهي ، لأن عند العملِ يظهرُ أثرُ النصيحةِ ، يحكى أن أم محمد الفاتح الخليفة العثماني كانت توقظ ولدها محمداً لصلاة الفجر ، ثم تأخذه بعد الصلاة وتجلس به على شاطيء البحر ، وتقول: انظر خلف هذا البحر على الشاطيء الآخر ، انظر إلى أنوار القسطنطينية ، النبي ﷺ أخبر أنها ستفتح للإسلام وأرجو أن تكون أنت الذي يفتحها يا ولدي ، وكان يكبر كل يوم ويكبر فيه هذا المعنى ، حتى فتحها محمد ولقب بالفاتح لأنه الذي فتحها وهي مدينة إستامبول الآن إحدى المدن التركية، وكانت عاصمة الخلافة العثمانية.

(١) أخرجه مسلم(١٦٣١).

(٢٨) وإن أهملتَها ونبذتَ نصحاً .... ومـلتَ إلى حطامٍ قد جمعتا

(٢٩) لسوف تعض من ندم عليها ... ومـــا تغني الندامة إن ندمتا

(٣٠) إذا أبصرت صحبك في سماء ... قد ارتفعوا عليك وقد سفلتا

قوله :" إذا أبصرت صحبك في سماء " أي في علو وارتفاع بعد أن طلبوا العلم وتركت أنت، أخرج الطبراني والحاكم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل : هلم فلنتعلم من أحصاب رسول الله ﷺ نسألهم فإنهم كثير فقال : العجب والله لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله ﷺ فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ فأجده قائلاً فأتوسد ردائي على باب داره تسفي الرياح على وجهي حتى يخرج إلي فإذا رآني قال : يا ابن عم رسول الله مالك قلت : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله فأحببت أن أسمعه منك فيقول : هلا أرسلت إلي فآتيك فأقول : أنا كنت أحق أن

آتيك وكان ذلك الرجل يراني قد ذهب أصحاب رسول الله ﷺ وقد احتاج الناس إلي فيقول : أنت كنت أحق مني[1] ».

(٣١) فراجعها ودع عنك الهوينى ... فما بالبطء تدرك ما طلبتا

قوله :" فراجعها ودع عنك الهوينى" أي اطلب العلم لا تفرط ودع الراحة، وجد واجتهد ، حتى تدرك ما فاتك ، فالعلم بالتعلم ، وكم من أناس طلبوا العلم بعد أن فاتهم مقتبل العمر ، ولكنهم اجتهدوا حتى حصلوا منه نصيباً لا بأس به.

(٣٢) ولا تختل بمالك واله عنه ... فليس المال إلا ما علمتا

قوله :" ولا تختَل بمالك والهَ عنه" أي لا تتكبر بالمال ، " فليس المال إلا ما علمتا" أي لا يبقى من المال إلا ما أعان على تحصيل العلم النافع.

وقد كان السلف يؤثرون العلم على المال ، ويبذلون المال في تحصيل العلم ، فهذا الإمام البخاري يقول عنه عمر بن حفص الأشقر : فقدنا البخاري أياماً من كتابة الحديث في البصرة، فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده، ولم يبق معه شيء، فجمعنا له دراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث رحمه الله تعالى .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣ /٥٣٨) والطبراني في الكبير(١٠ /٢٤٤)(١٠٥٩٢).

وقال ابن القاسم : أفضى بمالك طلب الحديث إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه.

وقال مالك رحمه الله : لا ينال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر.

ويحيى بن معين رحمه الله تعالى خلف له أبوه ألف ألف درهم -أي: مليون درهم-، فأنفقها كلها في تحصيل الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه.

(٣٣) وليس لجاهل في الناس مُغنٍ ... ولو ملك العراق له تأتى

(٣٤) سينطق عنك علمك في ملاء ... ويكتب عنك يوما إن كتبتا

قوله :" سينطق عنك علمك في ملاء" في ملاء أي جموع الناس وصدور المجالس ، والمعنى أن ذكرك سيعلو بالعلم ، لأن الناس دائماً في حاجة للعلم والعلماء، وليس لهم حاجة في الجهلاء.

(٣٥) وما يغنيـــك تشييد المبـــاني ... إذا بالجهل نفسك قد هدمتا

(٣٦) جعلت المال فوق العلم جهلاً ... لعمـرك في القضية ما عدلتا

قوله :" لعمرك في القضية ما عدلتا" أي ما عدلت إذ جعلت المال فوق العلم وطلبت المال ولم تطلب العلم ، واختلف الناس في كلمة "

لعمرك" فمنهم من منعها لكونها قسم بغير الله ، ومنهم من مشاها وقال: إنها ليست بقسم لأن اللام ليست من حروف القسم .

(٣٧) وبينهما بنص الوحي بونٌ .... ستعلمه إذا طه قرأتا

قوله : " وبينهما بنص الوحي بونٌ" بون أي فرق ، " ستعلمه إذا طه قرأتا" وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

فأمر الله سبحانه نبيه ﷺ بطلب الازدياد من العلم لا من المال.

(٣٨) لئن رفع الغنى لواء مال ... لأنت لواء علمك قد رفعتا

والمعنى لو تفاضل العلم والمال لغلب العلم ورجح ، قال علي رضي الله عنه: " العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل ، والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، وصنيعة المال تزول بزواله ، محبة العالم دين يدان بها ، تكسبه الطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد موته ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، العلماء باقون ، ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ها إن ها هنا – وأومأ بيده إلى صدره – علما[١] ".

---

(١) الفقيه والمتفقه(١٧٧).

وانظروا إلى فضل العلم في قوله ﷺ : « إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حَقَّهُ قَالَ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ قَالَ وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا قَالَ فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ قَالَ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ قَالَ وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ قَالَ وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ قَالَ هِيَ نِيَّتُهُ فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ[(١)]».

(٣٩) لئن جلس الغني على الحشايا ... لأنت على الكواكب قد جلستا

قوله :" لئن جلس الغني على الحشايا" أي إن جلس على الوسائد المحشوة بأنعم الحشو ،" لأنت على الكواكب قد جلستا" أي أنت في العلياء مكانك بالعلم .

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد(١٨٠٣١)والترمذي(٢٥٩٥) عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه.

(٤٠) وإن ركب الجياد مسومات ... لأنت مناهج التقوى ركبتا

قوله :" وإن ركب الجياد مسومات" أي الخيل الحسان المعلمة ، وأتى بذكر الخيل لأنها من زينة الدنيا ، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[آل عمران:١٤].

(٤١) ومهما افتض أبكارَ الغَوانِي ... فكم بِكْرٍ من الحِكَمِ افتضضتا

قوله :" ومهما افتض أبكارَ الغَوانِي" أي مهما نكح الأبكار الحسان، والغواني جمع غانية ، وهي الجميلة التي استغنت بجمالها عن الزينة .

قوله :" فكم بِكْرٍ من الحِكَمِ افتضضتا" أي كم من المسائل العلمية التي اجتهدت في استخراج حكمها .

(٤٢) وليس يضرك الإقتار شيئا ... إذا ما أنت ربك قد عرفتا

قوله :" وليس يضرك الإقتار شيئا" والاقتار: الفقر وضيق العيش.

(٤٣) فماذا عنـده لك من جميلٍ ... إذا بفناء طاعته أنختا

قوله :" فماذا عنده لك من جميلٍ" الفوز بالجنان للطائعين .

قوله :" إذا بفناء طاعته أنختا" أي أقمت وداومت على طاعته ، يقال : أناخ البعير أي أبركه.

(٤٤) فقابل بالقَبُولِ صحيحَ نُصْحِي ... فإن أعرضتَ عنه فقد خَسِرتا

(٤٥) وإن راعيته قــولاً وفعــلاً ... وتاجــرت الإله به ربحــتا

قوله :" وتاجرت الإله به ربحتا" والمتاجرة مع الله تعالى رابحة ، لأن بها النجاة من النار والفوز بالنعيم المقيم ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

(٤٦) فليست هذه الدنيا بشيء ... تسؤوك حِقبَة وتسر وقتا

قوله :" تسؤوك حِقبَة وتسر وقتا" والحقبة بكسر الحاء ، واحدة الحقب ، وجمع الجمع أحقاب ، والحقبة عدد كبير من السنين.

(٤٧) وغايتها إذا فكرت فيها ... كفيئك أو كحُلمك إذ حلمتا

قوله :" كفيئك أو كحلمك إذ حلمتا" والفيء العود والرجوع ، وفيء الظل عوده إذا جاءته الشمس فنسخته ، والحُلم هو ما يراه النائم في نومه، والمعنى أن زينة الدنيا ومتعتها تزول سريعاً كحلم النائم ، فلا تتمسك به ولا تتشبث به طويلاً لأنه زائل.

(٤٨) سُجِنْتَ بها وأنت لها محبٌ ..... فكيف تحب ما فيه سُجِنتَا

قوله :" سُجِنْتَ بها وأنت لها محبٌ " وهذا عجيب أن يحب الإنسان سجنه ، لأن الدنيا سجن ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ[١]».

(٤٩) وتطعمك الطعام وعن قريب ... ستطعم منك ما منها طعمتا

قوله :" ستطعم منك ما منها طعمتا" أي سيبلى جسدك ، وتعود تراباً كتراب الأرض، والمعنى لا تغتر بالدنيا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾، وأخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ

---

(١) أخرجه مسلم(٢٩٥٦).

الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

(٥٠) وتعرى إن لبست لها ثياباً ... وتكسى إن ملابسها خلعتا

قوله :" وتعرى إن لبست لها ثياباً" كما في قوله ﷺ :« رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ[١]».

(٥١) وتشهد كل يوم دفنَ خِلٍ ... كأنك لا تراد بما شهدتا

والخِلُ هو الصديق والصاحب القريب.

وقال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمْ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَارْتَحَلَتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري(١١٢٦)(٦٢١٨) والترمذي(٢١٩٦) عن أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً.

(٥٢) ولم تخلق لتعمرها ولكن ... لتعبرها فجد لما خلقتا

قوله :" ولم تخلق لتعمرها ولكن " وهو معنى ما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:« أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ :كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ :إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ[1]».

قوله :" فجد لما خلقتا" أي اجتهد لما له خلقت له ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات :٥٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[البينة: ٥].

(٥٣) وإن هُدِمَتْ فزدها أنت هدماً ... وحَصِّن أمرَ دِينِك ما استطعتا

(٥٤) ولا تحزن على ما فات منها ... إذا ما أنت في أُخرَاك فُزتا

قوله :" إذا ما أنت في أُخرَاك فُزتا" يعني لا يهمك فوات الدنيا إذا فزت بالآخرة ،أخرج البخاري ومسلم عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(١) أخرجه البخاري(٦٤١٦).

لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ ،وَكَانَ خَالَهُ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، قَالَ بِالدَّمِ هَكَذَا فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ،ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ[1]».

وأخرج مسلم عن أَنَس رضي الله عنه قال:« عَمِّىَ الَّذِى سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بَدْرًا - قَالَ - فَشَقَّ عَلَيْهِ قَالَ أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- غُيِّبْتُ عَنْهُ وَإِنْ أَرَانِىَ اللَّهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لَيَرَانِى اللَّهُ مَا أَصْنَعُ - قَالَ - فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا - قَالَ - فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمَ أُحُدٍ - قَالَ - فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ يَا أَبَا عَمْرٍو أَيْنَ؟ فَقَالَ :وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ - قَالَ - فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ - قَالَ - فَوُجِدَ فِى جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ - قَالَ - فَقَالَتْ أُخْتُهُ عَمَّتِىَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِى إِلاَّ بِبَنَانِهِ.

وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ قَالَ فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِى أَصْحَابِهِ[2]».

---

(١) أخرجه البخاري(٤٠٩٢) ومسلم(٦٧٧).

(٢) أخرجه مسلم(١٩٠٣) والترمذي(٣٢٠٠) وأحمد(١٣٠١٥).

(٥٥) فليس بنافعٍ ما نلت فيها ... من الفاني إذا الباقي حُرِمْتَا

ويوضح هذا ما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ :« إِنَّهُ لَيَأْتِى الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ اقْرَءُوا ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[1] ».

(٥٦) ولا تضحك مع السفهاء لهواً ... فإنك سوف تبكي إن ضحكتا

قوله :" ولا تضحك مع السفهاء لهواً" لأن السفهاء لا يحسنون التصرف في أموالهم ولا في أوقاتهم ولا في أقوالهم، فيقضونها في اللهو والعبث والضحك المميت للقلب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقِلَّ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ[2]».

وقد ضل أقوامٌ بسبب لهوهم وضحكهم، قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[التوبة : ٦٥ –٦٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم(٢٧٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(٢٥٢) وابن ماجه (٤٢١٧) وأحمد(٨٠٩٥) والترمذي(٢٣٠٥) وصححه الألباني.

(٥٧) وكيف لك السرورُ وأنت رهنٌ ؟ .. ولا تدري أتُفْدَى أم غُلِلْتَا

قوله :" وكيف لك السرورُ وأنت رهنٌ" يعني وأنت محبوس في الدنيا ، ولا تدري ألِى الجنة أم إلى النار تصير؟ ، وأخرج البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا[1]».

(٥٨) وسل من ربك التوفيقَ فيها ... وأَخلِص في السُؤالِ إذا سألتا

(٥٩) ونادِ إذا سجدت له اعترافاً ... بما نـــاداه ذو النون بن متى

قوله :" وسل من ربك التوفيقَ فيها" لأن الأعمال الصالحة تكون بتوفيق الله للعبد ، ولهذا وجه الله عباده إلى دعائه بطلب الهداية فقال سبحانه: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٦ -٧].

قوله :" ونادِ إذا سجدت له اعترافاً" أي ادع الله في سجودك حيث القرب من الله سبحانه، جاء في الحديث عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري(٦٦٣١) ومسلم(٩٠١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وأخرجه البخاري(٦٦٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنه.

ﷺ قَالَ: « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ[1]».

قوله :" بما ناداه ذو النون بن متى" ودعاء ذي النون عليه السلام ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

(٦٠) ولازِم بابَه قرعاً عَسَاهُ ... سيُفتَحُ بابَه لك إن قَرَعْتَا

قوله :" سيُفتَحُ بابَه لك إن قَرَعْتَا" كما يقولون : من أدمن قرع الباب ولج ، وفي الحديث مرفوعاً : :« لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ [2]».

(٦١) وأكثر ذكره في الأرض دأباً ... لتذكر في السماء إذا ذكرتا

قوله :" وأكثر ذكره في الأرض دأبا " قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً . وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً ﴾ (الأحزاب:٤١ -٤٢).

---

(١) أخرجه مسلم(٤٨٢) وأحمد(٩٤٦١) وأبو داود(٨٧٥).

(٢) حسن: أخرجه أحمد(٢٢٤١٣) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، وأخرجه الترمذي(٢١٣٩) عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْه.

وقوله جل شأنه : ﴿ واذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفَةً ودُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالْغُدُوِّ والآصَالِ ولا تَكُن مِّنَ الغَافِلِينَ ﴾ (الأعراف:٢٠٥).

وقوله تعالى : ﴿ واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (المزمل:٨).

وقوله سبحانه تعالى: ﴿ واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وأَصِيلاً . ومِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ (الإنسان:٢٥-٢٦).

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال:« لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[1]».

قوله :" لتذكر في السماء إذا ذكرتا" لقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[البقرة: ١٥٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي(٣٣٧٥) وأحمد(١٧٦٨٠).

ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً[1]».

(٦٢) ولا تقل الصبا فيه امتهال ... وفَكِّر كم صغير قد دفنتا؟

قوله :" ولا تقل الصبا فيه امتهال" والصبا أي مقتبل العمر ، وامتهال أي إمهال والمعنى لا تقل: إنني لا زلت صغيراً والعمر لا يزال طويلاً ، لأن الموت قد يفجأ الإنسان ، وقد يأتي بغتة ، وكم شاهدنا شباناً بل أطفالاً يموتون ، والسعيد من وعظ بغيره.

قال الشاعر:

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... ياشافي الأمراض من أرداك ؟

قل للمريض نجى وعوفي بعد ما... عجزت فنون الطب من عافاك؟

قل للصحيح مات لا من علة ... من يا صحيح بالمنايا دهاك ؟

وقال آخر:

وكم من سليم مات من غير عـــلة .... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

وكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً .... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من ساكن عند الصباح بقصره .... وعند المسا قد كان من ساكن القبر

---

(١) أخرجه البخاري(٧٤٠٥).

(٦٣) وقل : يا ناصحي بل أنت أولى ... بنصحِكَ لو لفِعلِكَ قد نظرتَا

قوله :" وقل : يا ناصحي بل أنتَ أَوْلَى" هنا ينقل الإلبيري النصح لنفسه.

(٦٤) تقطعني على التفريط لوماً ... وبالتفـــريط دهرك قد قطعتا

(٦٥) وفي صغري تخوفني المنايا ... وما تدري بحالك حيث شختا

قوله :" وفي صغري تخوفني المنايا" والمنايا جمع منية وهي الموت .

قوله :" وما تدري بحالك حيث شختا" حيث شختا أي صرت شيخاً كبيراً في السن ، وقرب انتهاء العمر، فأنت بالنصح أولى ، أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً[(١)]» .

فهذا من الإلبيري خوف ووجل ، كما كان الشأن في الصحابة رضوان الله عليهم ، قال البخاري في صحيحه : بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَيُذْكَرُ عَنْ الْحَسَنِ: مَا

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤١٩) وأحمد(٧٧١٣).

خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ وَمَا يُحْذَرُ مِنْ الْإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اهـ

وأخرج أحمد في المسند والترمذي في السنن عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ :« يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ ، قَالَ : لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ[(١)]» .

(٦٦) وكنت مع الصِبَا أهدَى سَبِيلاً ... فما لك بعد شيبِكَ قد نكستا؟!!

قوله : " فما لك بعد شيبك قد نكستا؟!!" استفهام استنكاري ، ينكر عليه تغير حاله إلى الأسوأ بعد المشيب.

وقد توعد الشيخ العاصي بوعيد أشد من الشباب ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ - وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ[(٢)]» .

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد(٢٥٧٠٥) والترمذي(٣١٧٥) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم(١٠٧) وأحمد(١٠٢٢٧).

(٦٧) وها أنا لم أخض بحر الخطايا ... كما قد خضته حتى غرقتا

(٦٨) ولم أشـــرب حمياً أم دَفْـــرٍ ... وأنت شربتها حتى سكرتا

قوله :" ولم أشرب حمياً أم دفر" حميا أي الخمر، والدفر أي النتن ، ويقال للدنيا أم دَفْرٍ .

(٦٩) ولم أنشأ بعصرٍ فيه نفعٌ ... وأنت نشأتَ فيه وما انتفعتا

قوله :" ولم أنشأ بعصرٍ فيه نفعٌ" أي أن عصري الذي عشت فيه خالٍ من العلماء والأمراء الصالحين ، أما أنت فنشأت في عصر العلماء الناصحين .

(٧٠) ولم أحْلُلْ بوادٍ فيه ظلمٌ ... وأنت حللتَ فيه وانتَهَكْتَا

قوله :" ولم أحْلُلْ بوادٍ فيه ظلمٌ " والمعنى لم آتي مكان الظلم حتى لا أظلم نفسي أو غيري .

(٧١) وقد صاحبت أعلاماً كباراً ... ولم أرَكَ اقتدَيْتَ بمنْ صَحِبْتَا

(٧٢) وناداك الكتـــاب فلم تجبه ... ونبهـــك المشيب فما انتبهتا

قوله :" وناداك الكتاب فلم تجبه" والكتاب اسم للقرآن الكريم ، وسمي كتاباً لأنه يكتب ، والمعنى أنذرك الله في القرآن وحثك على الطاعات والبعد عن المعاصي، فهل أنت امتثلت؟!!

كما أنذرك مشيب شعرك بدنو الأجل ، فيا ليتك تتنبه.

(٧٣) ويقبح بالفتى فعل التصابي ... وأقبح منه شيخ قد تفتى

قوله :" ويقبح بالفتى فعل التصابي" أي أن المعاصي التي غالباً ما يقع فيها الشبان والصبيان لا الشيوخ والعجزة ، وفي الحديث عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَعْجَبُ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ[1]».

(٧٤) ونفسك ذم لا تذمم سواها ... بعيب فهي أجدر من ذممتا

(٧٥) فأنت أحـــق بالتفنيد مـــني ... ولو كنت اللبيبَ لما نطقتا

قوله :" فأنت أحق بالتفنيد مني" والتفنيد أي التضعيف واللوم .

قوله :" ولو كنت اللبيبَ لما نطقتا" واللبيب هو العاقل الفطن ، وقريء البيت في ضبط : " ولو سكت المسيءُ لما نطقتا" .

(٧٦) فلو بكت الدَّمَ عيناك خوفاً ... لذنبك لم أقل لك قد أمنتا

(٧٧) ومن لك بالأمان وأنت عبدٌ ... أمرتَ فما أئتمرتَ ولا أطعتَا

قوله :" فلو بكت الدَّمَ عيناك خوفاً" هذا للمبالغة في الخوف من الله .

قوله: " لذنبك لم أقل لك قد أمنتا " لأن المؤمن يخشى الله ولا يأمن من مكره سبحانه، هذا مع وعد الله الذي لا يخلف بالجنان للخائفين

---

(١) حسن لغيره: أخرجه أحمد(١٧٣٧١) والطبراني في الكبير(١٧ /٣٠٩)(٨٥٣) .

الوجلين منه سبحانه، قال تعالى : ﴿ولمن خَافَ مقامَ ربِهِ جنتَانِ﴾ (الرحمن : ٤٦).

(٧٨) ثقلتَ من الذنوبِ ولستَ تخشَى .. لجهلِكَ أن تخِفَ إذا وُزِنتَا

قوله :" ثقلتَ من الذنوبِ ولستَ تخشَى" أي كثرت وثقلت ذنوبك ، والمعنى أحذرك من ذلك، قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٨ -٩].

وقال سبحانه :﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ . فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠١ -١٠٣].

(٧٩) وتشفق للمصر على المعـــــاصي ... وترحمــه ونفســك ما رحمتا

(٨٠) رجعت القهقرى وخطبت عشوا ... لعمرك لو وصلت لما رجعتا

قوله :" رجعت القهقرى وخطبت عشوا" رجعت القهقرى أي إلى الخلف ، "وخطبت عشوا " أي طلبت عدم الرؤية وعدم البصيرة،

فالعشواء يعني ضعيفة البصر ، فهي تخبط في سيرها ، ومنها الاصطلاح الحادث " العشوائية " يعني الأمور غير المرتبة وغير المنظمة .

قوله : " لَعَمْرُكَ " قسم لا يجوز ، لعموم النهي عن الحلف بغير الله .

(٨١) ولو وافيت ربك دون ذنب ... ونوقشت الحساب إذاً هلكتا

قوله : " ونوقشت الحساب إذاً هلكتا " لحديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قَالَتْ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ[1]»

(٨٢) ولم يظلمك في عمل ولكن .. عسير أن تقوم لما حملت

(٨٣) ولو قد جئت يوم الحشر فردا ... وأبصرت المنازل فيه شتى

قوله : " وأبصرت المنازل فيه شتى " قال سبحانه :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج :١ -٢].

---

(١) متفق عليه :أخرجه البخاري(١٠٣)(٤٩٣٩)(٦٥٣٦) ومسلم(٢٨٧٦).

وأخرج مسلم وأحمد والترمذي عن الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ». قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا يَعْنِى بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمِ الْمِيلَ الَّذِى تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِى الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا ». قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[(١)].

(٨٤) لأعظمتَ الندامةَ فيه لهِفَاً ... على ما في حياتِكَ قد أضعتَا

(٨٥) تفر من الهجـــير وتتــقيه ... فهــلا من جهنم قد فررتــا

قوله : " فهلا من جهنم قد فررتا" قال سبحانه :﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وأخرج البخاري ومسلم عن عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ[(٢)]».

---

(١) أخرجه مسلم(٢٨٦٤) وأحمد(٢٣٨١٣) والترمذي(٢٤٢١).

(٢) أخرجه البخاري(١٤١٧) ومسلم(١٠١٦).

(٨٦) ولست تطيق أهونها عذاباً ...   ولو كنت الحديد بها لذبتا

قوله :" ولست تطيق أهونها عذاباً "جاء في الحديث المتفق عليه عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقُمْقُمُ[(١)]».

(٨٧) فلا تنكر فإن الأمرَ جِدٌّ ...   وليسَ كما حسِبتَ ولا ظَنَنْتَا

قوله :" وليسَ كما حسِبتَ ولا ظَنَنْتَا " أي مهما تخيلت وتصورت عذاباً فإن عذاب النار أشد ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:« نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا[(٢)]».

---

(١) أخرجه البخاري(٦٥٦٢) ومسلم(٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري(٣٢٦٥) ومسلم(٢٨٤٣).

(٨٨) أبا بكر كشفت أقـــل عيبي .. وأكثره ومعظمه ســـترتا

(٨٩) فقل ما شئت في من المخازي ... وضاعفها فأنك قد صدقتا

(٩٠) ومهما عبتَني فلفرط علـــمي .. بباطنتي كأنـك قد مدحتا

قوله :" ومهما عبتَني فلفرط علمي. بباطنتي كأنك قد مدحتا" وهذا شأن الصالحين ، يتهمون أنفسهم دائماً ، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مدح قال: اللّهم! أنت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللّهم! اجعلني خيرا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

قال رجل لمحمد بن واسع : إني لأحبك في الله، فقال:أحبك الذي احببتني له، اللّهم أني أعوذ بك أن أحب لك وأنت لي مبغض أو ماقت[١].

قال سفيان: فكان يقال إذا عرفت نفسك لم يضرك ما قيل لك[٢].

(٩١) فلا ترض المعايب فهي عارٌ ... عظيمٌ يُورِثُ المحبوب مقتا

قوله :" يورث المحبوب مقتا" مقتاً أي بغضاً وكراهية.

(١) الزهد لابن المبارك(٥٦).

(٢) الزهد لابن المبارك(٥٦).

(٩٢) وتهوي بالوجـــيه من الثريا ... وتبدلـــه مكان الفوق تحتا

قوله :" وتهوي بالوجيه من الثريا" أي تسقط العالي من الكواكب والنجوم ، فالثريا كوكب من الكواكب .

(٩٣) كما الطاعات تبدلك الدراري ... وتجعلك القريب وإن بعدتا

قوله: " كما الطاعات تبدلك الدراري" تبدلك الدراري أي تنزلك الطاعات المنازل الشريفة العظيمة.

(٩٤) وتنشر عنك في الدنيا جميلاً ... وتلقَى البرَ فيها حيث كنتا

قوله: " وتنشر عنك في الدنيا جميلاً " أي الطاعات تبقي لك ذكراً حسناً في الدنيا.

(٩٥) وتمشي في مناكبها عزيزاً ... وتجني الحمدَ مما قد غرستا

قوله: " وتمشي في مناكبها عزيزاً" مناكب الأرض طرقها وشعابها ووديانها وجوانبها ونواحيها ونحو ذلك.

(٩٦) وأنت الآن لم تُعرَف بعيبٍ ... ولا دنستَ ثوبَك مُذْ نشأتا

(٩٧) ولا سابقتَ في مَيْدَانِ زورٍ ... ولا أوضعتَ فيه ولا خَبَبْتَا

قوله: " ولا سابقت في ميدان زورٍ" والزور الكذب ، " ولا أوضعتَ فيه ولا خَبَبْتَا" أوضعت يعني أسرعت، وخببت وهو إسراع المشي مع

تقارب الخطى، ومنه حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خب ثلاثا ومشى أربعا[١].

وقد يكون " خببت" بمعنى خَدَعَتَ ومنه حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " من خبب زوجة امرىء أو مملوكه فليس منا[٢] " .

(٩٨) فإن لم تنأ عنه نشبت فيه ... ومن لك بالخلاص إذا نشبتا

قوله: " فإن لم تنأ عنه نشبت فيه" نشبت يعني تعلقت ووثقت به.

(٩٩) ودنس ما تطهر منـــك حتى ... كأنك قبـــل ذلك ما طهرتا

(١٠٠) وصرت أسير ذنبك في وثاق ... وكيف لك الفكاك وقد أُسِرْتَا؟

قوله: "وصرت أسير ذنبك في وثاق " وهذا حال المؤمنين ، فقد أخرج البخاري وأحمد والترمذي عن عَبْد اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ[٣]».

---

(١) أخرجه مسلم(١٢٦١) .

(٢) صحيح :أخرجه أبو داود(٥١٧٠) وأحمد(٩١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري(٦٣٠٨) وأحمد(٣٦٢٧) والترمذي(٢٤٩٧).

(١٠١) وخَفْ أبناءَ جنسِك واخشَّ منهم ... كما تخَشَى الضراغِمَ والسبَنتَى

قوله " وخَفْ أبناءَ جنسِك واخشَّ منهم " أي احذر قرناء وأصحاب السوء ، الذين يدلونك ويأخذونك لما فيه هلاكك، قال تعالى محذراً من قرناء السوء: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾[الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وأخرج أحمد وأبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ[١]».

قوله " كما تخَشَى الضراغِمَ والسبَنتَى" الضراغم جمع ضرغام وهو الأسد، والسبنتى هو النمر ، ويجمع على سبانت. والمعنى فر من قرناء السوء كما تفر من الأسود والنمور وسائر الحيوانات المفترسة.

(١٠٢) وخالطهم وزايلهم حذاراً ... وكن كالسامري إذا لمستا

قوله :" وكن كالسامري إذا لمستا" والمعنى كن حذراً في معاملة الناس والأصحاب ، فالسامري الذي كان مع موسى عليه السلام كان يقول :

---

(١) تقدم تخريجه.

لا مساس إذا أراد أحد أن يمسه ، كما جاء في الآيات قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ . قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي .قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[طه: ٩٥ -٩٧].

قال السعدي في تفسيره : أي: ما شأنك يا سامري، حيث فعلت ما فعلت؟، فقال:﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وهو جبريل عليه السلام على فرس رآه وقت خروجهم من البحر، وغرق فرعون وجنوده على ما قاله المفسرون، فقبضت قبضة من أثر حافر فرسه، فنبذتها على العجل، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أن أقبضها، ثم أنبذها، فكان ما كان، فقال له موسى: ﴿فَاذْهَبْ﴾ أي: تباعد عني واستأخر مني ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾ أي: تُعَاقَب في الحياة عقوبة، لا يدنو منك أحد، ولا يمسك أحد، حتى إن من أراد القرب منك، قلت له: لا تمسني، ولا تقرب مني، عقوبة على ذلك، حيث مس ما لم يمسه غيره، وأجرى ما لم

يجره أحد، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ فتجازى بعملك، من خير وشر[1].اهـ

(١٠٣) وإن جهلوا عليك فقل سلاماً ... لعلك سوف تسلم إن فعلتا

قوله :" وإن جهلوا فقل سلاماً" لقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[الفرقان :٦٣].

(١٠٤) ومن لك بالسلامةِ في زمانٍ ... تنال العصم إلا إن عصمتا

(١٠٥) ولا تلبث بحيٍ فيه ضيمٌ ... يميت القلب إلا إن كبلتا

قوله :" ولا تلبث بحيٍ فيه ضيمٌ" أي فيه ظلم ، والمعنى وجوب هجر مكان السوء والمعصية والبدعة، إياك أن تقول كما يقول القوميون والوطنيون : أرضي وسمائي ومائي التي ولدت ونشأت فيها ، وتمكث فيها مع الأشرار والعصاة ، لا فالأرض كلها أرض الله ، فابحث عن الأرض التي فيها الصالحون والعلماء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ

---

(١) تفسير السعدي المعروف بـ تيسير الكريم الرحمن ص٥١٢ ، طبعة مؤسسة الرسالة.

جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا . وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٧ – ١٠٠].

والنبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة ازدانت به المدينة ، وتألق نورها بالنبي ﷺ وأصحابه .

فالهجرة واجبة من مكان السوء والمعصية ، إلى مكان الطاعة وصحبة الصالحين.

وكما في الحديث : « انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ[(١)]».

قال الذهبي في السير (٧ /٣٨٧): روى إبراهيم الحربي، عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: أراد جار لأبي حمزة السكري أن يبيع داره، فقيل له: بكم ؟ قال: بألفين ثمن الدار، وبألفين جوار أبي حمزة.

فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجه إليه بأربعة آلاف، وقال: لا تبع دارك.

(١) متفق عليه عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه.

(١٠٦) وغرب فالتغربُ فيه خير ... وشرق إن بريقك قد شرقتا

قوله :" وغرب فالتغربُ فيه خير " لأن الغربة أحياناً يكون فيها الخير للإنسان ، والرحلة كثيراً ما يكون معها النفع للمرتحل ، ولهذا يقولون عن أحمد ويحيى ابن معين رحمهما الله تعالى أنهما لما رحلا إلى عبد الرزاق بن همام في اليمن ، قالا نعتمر لأن مكة في طريقهما إلى اليمن ، وبينما هما في الطواف ، قيل لهما : أبشرا فإن عبد الرزاق هنا بمكة ، يعنى لا حاجة لباقي الرحلة لليمن لأن السماع من عبد الرزاق بمكة متاح ، فقال أحمد: ما كنت لأغير نية نويتها ، وأكمل الرحلة لليمن وسمع من عبد الرزاق ومن غير عبد الرزاق.

ومثل ذلك أنك تفتح الكتب لتحصل منها مسألة وتحصلها ، وتحصل معها مسائل أخرى تعرض لك في أثناء بحثك.

(١٠٧) فليس الزهد في الدنيا خمولاً ... لأنت بها الأمير إذا زهدتا

قوله :" لأنت بها الأمير إذا زهدتا " فالأمراء هم الزاهدون ، أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ

رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ[1]».

(١٠٨) ولو فوق الأمير تكون فيها ... سمواً وارتفاعاً كنت أنتا

قوله: " سمواً وارتفاعاً كنت أنتا" هذا لو زهد في حطام الدنيا من المال والجاه والسلطان.

(١٠٩) وإن فارقتها وخرجت منها ... إلى دار السلام فقد سلمتا

قوله: " وإن فارقتها وخرجت منها" " إلى دار السلام فقد سلمتا" أي إن خرجت من الدنيا ودخلت الجنة فقد سلمت وفزت، قال سبحانه : ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، ودار السلام اسم من أسماء الجنة.

(١١٠) وإن أكرمتها ونظرت فيها ... لإكرامٍ فنفسك قد أهنتا

قوله: " وإن أكرمتها ونظرت فيها" " لإكرامٍ فنفسك قد أهنتا" والمعنى لو لهثت وراء الدنيا لإكرام نفسك ، فأنت في الحقيقة تهينها.

---

(١) أخرجه البخاري(٢٨٨٧).

(١١١) جمعت لك النصائح فامتثلها ... حياتك فهي أفضلُ ما امتثلتا

قوله :" جمعت لك النصائح فامتثلها " لقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ . وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[(١)] ».

(١١٢) وطولتُ العتابَ وزدتُ فيه ... لأنــك في البطالةِ قد أطلتا

(١١٣) فلا يغررك تقصيري وسهوي ... وخذ بوصيتي لك إن رشدتا

قوله " لأنك في البطالةِ قد أطلتا " البطالة أي الضياع والفساد ، يقال للعاطل عن العمل بطال.

---

(١) أخرجه البخاري(٨٩٣) (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩) والترمذي (١٧٠٥).

قوله: " فلا يغررك تقصيري وسهوي " أي لا يمنعك تقصيري أن تأخذ بنصحي ، قال بعض أهل العلم : لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تعملوا بأحسن ما تسمعون منا .

وقال بعضهم : لا تنظر إلى عمل العالم ولكن اسأله يصدقك .

ووقف رجلٌ على ابن عيينة وهو يعظ الناس فأنشد :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو مريض

فأنشده ابن عيينة :

اعمل بعلمي وإن قصرتُ في عملي ... ينفعك علمي ولا يضرُرْك تقصيري

ورحم الله من قال:

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب ... فمن يعظ العاصين بعد محمد

قيل للحسن: إن فلاناً لا يعظ ويقول: أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: وأينا يفعل ما يقول؟!!، ود الشيطان أنه ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر[١].

وقال مالك عن ربيعة: قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد

---

(١) وفيات الأعيان(٢ / ٧٢).

بمعروف ولا نهى عن منكر، قال مالك: وصدق! ومن ذا الذي ليس فيه شيء[1].

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط .

خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوماً فقال في موعظته: إني لأقول هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه[2].

وكتب إلى بعض نوابه على بعض الأمصار كتاباً يعظه فيه وقال في آخره: وإني لأعظك بهذا وإني لكثير الإسراف على نفسي، غير محكم لكثير من أمري، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه إذاً لتواكل الخير، وإذاً لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذاً لاستحلت المحارم، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض[3].

وكان بعض العلماء المشهورين له مجلس للوعظ فجلس يوما فنظر إلى من حوله و هم خلق كثير و ما منهم إلا من قد رق قلبه أو دمعت عينه فقال لنفسه فيما بينه و بينها : كيف بك إن نجا هؤلاء و هلكت أنت ثم قال في

---

(١) تفسير ابن كثير(١ /٢٤٧) طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) حلية الأولياء(٥ /٢٧٩).

(٣) السابق(٥ /٢٧٦).

نفسه : اللّٰهم إن قضيت علي غداً بالعذاب فلا تعلم هؤلاء بعذابي صيانة لكرمك لا لأجلي لئلا يقال : عذب من كان في الدنيا يدل عليه، إلٰهي قد قيل لنبيك ﷺ: اقتل ابن أُبي المنافق فقال : " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " فامتنع من عقابه لما كان في الظاهر ينسب إليه، و أنا على كل حال فإليك أنسب[1] اهـ

(١١٤) وقد أردفتها تسعاً حساناً ... وكانت قبل ذا مئةً وستا

(١١٥) وصلى على تمام الرسل ربّي .. وعترته الكريمة ما ذُكرتا

قوله : " وصَلى على تمام الرسل ربّي " يختمها بالصلاة والسلام على النبي وآله ، وهي عادة السلف في كتبهم ورسائلهم وخطبهم .

---

(١) لطائف المعارف ص ١٧.

المحتويات

تمت